

الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير قال جبريل : إن الله قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه ، فسأل ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ إلى آخر هذه الآية ؛ وقوله ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ أي لا يكلف أحداً فوق طاقته ، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورافته بهم وإحسانه إليهم ، وهذه هي النسخة الرافعة لما كان أشق منه الصحابة في قوله ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ أي هو وإن حاسب وسأل ، لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخص دفعه ، فاما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها ، فهذا لا يكلف به الإنسان ، وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان ، وقوله ﴿ها ما كسبت﴾ أي من خير ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ أي من شر وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف . ثم قال تعالى مرشداً عباده إلى سؤاله ، وقد تكفل لهم بالإجابة كما أرشدهم وعلمهم أن يقولوا ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ أي إن تركنا فرضاً على جهة النسيان ، أو فعلنا حراماً كذلك ، أو أخطأنا أي الصواب في العمل جهلاً منا بوجهه الشرعي . وقد تقدم في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ، قال ﴿قال الله : نعم﴾ ولحديث ابن عباس ، قال الله ﴿قد فعلت﴾ . وروى ابن ماجة في سننه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي عمرو الأزاعي ، عن عطاء ؛ قال ابن ماجة في روايته عن ابن عباس ، وقال الطبراني وابن حبان ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه﴾ وقد روي من طريق آخر وأعله أحمد وأبو حاتم ، والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن شهر ، عن أم الدرداء ، عن النبي ﷺ ، قال ﴿إن الله تجاوز لأمتي عن ثلاث : عن الخطأ والنسيان ، والاستكراه﴾ قال أبو بكر : فذكرت ذلك للحسن ، فقال : أجل ، أما اقرأ بذلك قرأنا ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ .

وقوله ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ أي لا تكلفنا من الأعمال الشاقة وإن أطقناها كما شرعته للأمم الماضية قبلنا من الأغلال والأصار التي كانت عليهم ، التي بعثت نبيك محمداً ﷺ ، نبي الرحمة بوضعه في شرعه الذي أرسلته به من الدين الخفيف السهل السمح ، وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ ، قال ﴿قال الله : نعم﴾ وعن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ ، قال ﴿قال الله قد فعلت﴾ . وجاء في الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال : «بعثت بالخييفة السمحة» .

وقوله ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ أي من التكليف والمصائب والبلاء لا تتبنا بما لا قبل لنا به ، وقد قال مكحول في قوله ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ قال : الغربية والغلظة ؛ رواه ابن أبي حاتم ، قال الله : نعم ، وفي الحديث الآخر : قال الله : قد فعلت .

وقوله ﴿واعف عنا﴾ أي فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا ﴿واغفر لنا﴾ أي فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة ﴿وارحمنا﴾ أي فيما يسبق فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر ؛ ولهذا قالوا : إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء : أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه ، وأن يستره عن عباده فلا يفصح به بينهم ، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره . وقد تقدم في الحديث أن الله قال : نعم ، وفي الحديث الآخر : قال الله : قد فعلت .

وقوله ﴿أنت مولانا﴾ أي أنت ولينا وناصرنا ، وعليك توكلنا ، وأنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك ، ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ أي الذين جحدوا دينك ، وأنكروا وحدانيتك ورسالة نبيك ، وعبدوا غيرك وأشركوا معك من عبادك ، فانصرنا عليهم ، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة ؛ قال الله : نعم . وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس ، قال الله : قد فعلت . وقال ابن جرير : حدثني مثني بن إبراهيم ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق أن معاذاً رضي الله عنه ، كان إذا فرغ من هذه السورة ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ قال : آمين . ورواه وكيع عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن رجل ، عن معاذ بن جبل ، أنه كان إذا ختم البقرة قال : آمين

سُورَةُ الْاَعْمُرَانِ

لأن صدرها إلى ثلاث وثلاثين آية منها نزل في وفد نجران وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة ، كما سيأتي بيان ذلك عند تفسير آية المباهلة منها ، إن شاء الله تعالى ، وقد ذكرنا ما ورد في فضلها مع سورة البقرة أول البقرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٣﴾

قد ذكرنا الحديث الوارد في أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ و ﴿الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ عند تفسير آية الكرسي وقد تقدم الكلام على قوله : ﴿الم﴾ في أول سورة البقرة بما يغني عن إعادته ؛ وتقدم الكلام على قوله : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ في تفسير آية الكرسي .
وقوله تعالى : ﴿نزل عليك الكتاب بالحق﴾ يعني نزل عليك القرآن يا محمد بالحق ، أي لا شك فيه ولا ريب ، بل هو منزل من عند الله ؛ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً ؛ وقوله : ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ أي أن الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله والأنبياء ، فهي تصدقه بما أخبرت به ، وبشرت في قديم الزمان ، وهو يصدقها ، لأنه طابق ما أخبرت به ، وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن العظيم عليه . وقوله : ﴿وأنزل التوراة﴾ أي على موسى بن عمران . ﴿والإنجيل﴾ أي على عيسى بن مريم عليهما السلام ، ﴿من قبل﴾ أي من قبل هذا القرآن ﴿هدى للناس﴾ أي في زمانها . ﴿وأنزل الفرقان﴾ وهو الفارق بين الهدى والضلال . والحق والباطل ، والغي والرشاد ، بما يذكره الله تعالى من الحجج والبيانات والدلائل الواضحات ، والبراهين القاطعات ، وبيّنه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشد إليه وينبه عليه من ذلك . وقال قتادة والربيع بن أنس : الفرقان - ههنا - القرآن . واختار ابن جرير أنه مصدر ههنا لتقدم ذكر القرآن في قوله : ﴿نزل عليك الكتاب بالحق﴾ وهو القرآن . وأما ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي صالح ، أن المراد بالفرقان ههنا التوراة ، فضعيف أيضاً لتقدم ذكر التوراة ، والله أعلم .
وقوله تعالى : ﴿إن الذين كفروا بآيات الله﴾ أي جحدوها وأنكروها وردوها بالباطل ، ﴿لهم عذاب شديد﴾ أي يوم القيامة ، ﴿والله عزيز﴾ أي منيع الجناح عظيم السلطان ، ﴿ذو انتقام﴾ أي ممن كذب بآياته وخالف رسله الكرام وأنبياءه العظام .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

يخبر تعالى أنه يعلم غيب السماء والأرض ، لا يخفى عليه شيء ، من ذلك ؛ ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ أي يخلقكم في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى ، وحسن وقبيح ، وشقي وسعيد ؛ ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ أي هو الذي خلق ، وهو المستحق للالهية وحده لا شريك له ، وله العزة التي لا ترام ، والحكمة والأحكام وهذه الآية فيها تعريض ، بل تصريح بأن عيسى بن مريم عبد مخلوق ، كما خلق الله سائر البشر ، لأن الله صوره في الرحم وخلقها كما يشاء ، فكيف يكون لها كما زعمته النصارى ، عليهم لعائن الله ، وقد تقلب في الأحشاء وتنقل من حال إلى حال ؟ كما قال تعالى : ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ .

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ

لَنَامِنَ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ رَبِّهِمْ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٩﴾

يجزى تعالى أن في القرآن آيات محكمات ، هن أم الكتاب ؛ أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم ، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده ، فقد اهتدى ؛ ومن عكس انعكس ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ هن أم الكتاب ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ، ﴿ وأخر متشابهات ﴾ أي تحتل دلالتها موافقة المحكم ، وقد تحتل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب ، لا من حيث المراد ؛ وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه ، فروي عن السلف عبارات كثيرة ، فقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وما يؤمر به ويعمل به . وعن ابن عباس أيضاً أنه قال : المحكمات قوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ﴾ والآيات بعدها ، وقوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ إلى ثلاث آيات بعدها ؛ ورواه ابن أبي حاتم وحكاه عن سعيد بن جبير به ؛ قال : حدثنا أبي ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد عن إسحاق بن سويد ، أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية ﴿ هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ قال أبو فاختة : فواتح السور . وقال يحيى بن يعمر : الفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام . وقال ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير : ﴿ هن أم الكتاب ﴾ لأنهن مكتوبات في جميع الكتب . وقال مقاتل بن حيان : لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهن . وقيل في المتشابهات : المنسوخة والمقدم والمؤخر والأمثال فيه ، والأقسام وما يؤمن به ولا يعمل به ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وقيل : هي الحروف المقطعة في أوائل السور ، رواه مقاتل بن حيان . وعن مجاهد : المتشابهات يصدق بعضها بعضاً ، وهذا إنما هو في تفسير قوله : ﴿ كتاباً متشابهاً مثاني ﴾ هناك ذكروا أن المتشابه هو الكلام الذي يكون في سياق واحد ، والثاني هو الكلام في شيئين متقابلين كصفة الجنة ، وصفة النار ، وذكر حال الأبرار ، وحال الفجار ، ونحو ذلك . وأما ههنا فالتشابه هو الذي يقابل المحكم ، وأحسن ما قيل فيه ، هو الذي قدمنا ، وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله ، حيث قال ﴿ منه آيات محكمات ﴾ فهن حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الخصوم الباطل ، ليس هن تصرف ولا تحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، ألا يصرفن إلى الباطل ، ولا يحرفن عن الحق . ولهذا قال الله تعالى : ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ أي إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة ، ويتزولوه عليها لاحتال لفظه لما يصرفونه ، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه ، لأنه دافع لهم وحجة عليهم ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ أي الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن ، وهو حجة عليهم لا لهم ، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ، ألغاه إلى مريم ، وروح منه ، وتركوا الاحتجاج بقوله : ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ﴾ ويقولون ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله .

وقوله تعالى : ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ أي تحريفه على ما يريدون . وقال مقاتل بن حيان والسدي : يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عمار ، حدثنا يعقوب عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ إلى قوله : ﴿ أولوا الألباب ﴾ فقال : ﴿ وإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عني الله فاحذروهم ﴾ هكذا وقع هذا الحديث في مسند الإمام أحمد من رواية ابن أبي مليكة ، عن عائشة رضي الله عنها ، ليس بينها أحد . وهكذا رواه ابن ماجة من طريق إسحاق بن عمار ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، كلاهما عن أيوب به . ورواه محمد بن يحيى العبدى في مسنده عن عبد الوهاب الثقفي به . وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب . وكذا رواه غير واحد عن أيوب . وقد رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أيوب به . ورواه أبو بكر بن المنذر في تفسيره من طريقين عن أبي النعمان محمد بن الفضل السدوسي ولقبه عارم : حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة به وتابع أيوب أبو عامر الخزاز وغيره عن ابن أبي مليكة . فرواه الترمذي عن بن دينار ، عن أبي داود الطيالسي ، عن أبي عامر الخزاز ، فذكره ورواه سعيد بن منصور في سننه عن حماد بن يحيى ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة . ورواه ابن جرير من حديث روح بن القاسم ونافع بن عمر الجمحي ، كلاهما عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة . وقال نافع في روايته عن ابن أبي

ملیكة : حدثني عائشة ، فذكره . وقد روى هذا الحديث البخاري عند تفسير هذه الآية ، ومسلم في كتاب القدر من صحيحه ؛ وأبو داود في السنة من سننه ، ثلاثهم عن القعني ، عن يزيد بن إبراهيم التستري ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : تلا رسول الله ﷺ ، هذه الآية : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ﴾ إلى قوله : ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ قالت : قال رسول الله ﷺ : « فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ؛ فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم » لفظ البخاري . وكذا رواه الترمذي أيضاً ، عن بندار عن ، أبي داود الطيالسي ، عن يزيد بن إبراهيم به ؛ وقال : حسن صحيح ؛ وذكر أن يزيد بن إبراهيم التستري تفرد بذكر القاسم في هذا الإسناد . وقد رواه غير واحد عن ابن أبي مليكة عن عائشة ، ولم يذكر القاسم ؛ كذا قال . وقد رواه ابن أبي حاتم فقال : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري وحامد بن سلمة ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : سئل رسول الله ﷺ ، عن قول الله تعالى : ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ ؛ فقال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم » وقال ابن جرير : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : نزع رسول الله ﷺ بهذه الآية : يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ؛ فقال رسول الله ﷺ : « قد حذركم الله فإذا رأيتموهم فاحذروهم » ورواه ابن مردويه من طريق أخرى عن القاسم عن عائشة به . وقال الإمام أحمد ؛ حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد عن أبي غالب ، قال : سمعت أبا أمامة يحدث عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ قال « هم الخوارج » . وفي قوله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ قال « هم الخوارج » وقد رواه ابن مردويه من غير وجه ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة ، فذكره . وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفاً من كلام الصحابي ، ومعناه صحيح ، فإن أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج ، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبي ﷺ غنائم حنين ، فكأنهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة ، ففاجأوه بهذه المقالة ؛ فقال قائلهم وهو ذو الخويصرة - بقر الله خاصرته - : اعدل فانك لم تعدل ؛ فقال رسول الله ﷺ : « لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، أيا مني على أهل الأرض ولا تأمنوني » ؛ فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب ، وفي رواية خالد بن الوليد ، في قتله ؛ فقال « دعه فانه يخرج من ضئضئ هذا ، أي من جنسه قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية ، فأبنا لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم » ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتلهم بالنروان ، ثم تشعبت منهم شعوب ، وقبائل ، وآراء ، وأهواء ، ومقالات ، ونحل كثيرة منتشرة ، ثم انبعثت القدرية ، ثم المعتزلة ، ثم الجهمية وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ في قوله « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » . قالوا : وما هم يا رسول الله ؟ قال : « من كان على ما أنا عليه وأصحابي » ، أخرجه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو موسى ، حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا المعتمر عن أبيه ، عن قتادة ، عن الحسن بن جندب بن عبد الله ، أنه بلغه عن حذيفة ، أو سمعه منه ، يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر « أن في أمي قوما يقرءون القرآن ، ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله » لم يخرجوه .

وقوله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ اختلف القراء في الوقف هنا . فقيل : على الجلالة ؛ كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : التفسير على أربعة أنحاء ؛ فتفسير لا يعذر أحد في فهمه ، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها ، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ؛ ويروى هذا القول في المعجم الكبير : حدثنا هاشم بن مرثد ، حدثنا محمد بن إساعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لا أخاف على أمي إلا ثلاث خلال : أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتلوا ، و أن يفتح لهم الكتاب فيأخذوه المؤمن يتغي تأويله ﴾ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ﴾ الآية ؛ وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يسألون عنه » غريب جداً . وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا أحمد بن عمرو ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن ابن العاص ، عن رسول الله ﷺ ، قال « إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه منه فامتنوا به » وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه ، قال : كان ابن عباس يقرأ : وما يعلم تأويله إلا الله ، ويقول الراسخون آمنا به . وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله ،

وحكى ابن جرير أن في قراءة عبد الله بن مسعود : إن تأويله إلا عند الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به ؛ وكذا عن أبي بن كعب ، واختار ابن جرير هذا القول .

ومنهم من يقف على قوله : والراسخون في العلم ؛ وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول ، وقالوا : الخطاب بما لا يفهم بعيد . وقد روى ابن أبي نجيع عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله . وقال ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به ؛ وكذا قال الربيع بن أنس . وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر الزبير : وما يعلم تأويله الذي أراد ما أراد إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ؛ ثم ردوا تأويل المتشابهات على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، فانسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضاً ، فنفذت الحجة ، وظهر به العذر ، وزاح به الباطل ، ودفع به الكفر ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس ، فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، ومن العلماء من فصل في هذا المقام وقال : التأويل يطلق ، ويراد به في القرآن معنيان : أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ وقوله ﴿ وهل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد ، فإن أريد بالتأويل هذا ، فالوقف على الجلالة ، لأن حقائق الأمور وكنها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل ، ويكون قوله ﴿ والراسخون في العلم ﴾ مبتدأ و﴿ يقولون آمنا به ﴾ خبره ، وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر ، وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله ﴿ نبينا بتأويله ﴾ أي بتفسيره ، فإن أريد به هذا المعنى ، فالوقف على ﴿ والراسخون في العلم ﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار ، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه ؛ وعلى هذا فيكون قوله : ﴿ يقولون آمنا به ﴾ حالاً منهم ، ومماغ هذا ، وأن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه ، كقوله ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - إلى قوله - يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ أي وجاء الملائكة صفواً صفواً .

وقوله إخباراً عنهم أنهم يقولون : آمنا به ، أي المتشابه ، كل من عند ربنا أي الجميع من المحكم ، والمتشابه حتى وصدق ، وكل واحد منها يصدق الآخر ويشهد له ، لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله يختلف ولا متضاد ، كقوله : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولوا العقول السليمة والفهم المستقيمة ، وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا فياض الرقي ، حدثنا عبيد الله بن يزيد وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ أنساً وأبا أمامة وأبا الدرداء ، أن رسول الله ﷺ ، سئل عن الراسخين في العلم ، فقال « ومن برت يمينه ، وصدق لسانه ، واستقام قلبه ، ومن عفت بطنه وفرجه ، فذلك من الراسخين في العلم » . وقال الإمام أحمد : حدثنا معمر عن الزهري ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمع رسول الله ﷺ قوماً يتدارمون ، فقال « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله ببعضه ببعض ، وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فقولوا به ، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه » وتقدم رواية ابن مردويه لهذا الحديث من طريق هشام بن عمار ، عن أبي حازم ، عن عمرو بن شعيب به ، وقد قال أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا أنس بن عياض ، عن أبي حازم ، عن أبي سلمة ، قال : لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ، قال « نزل القرآن على سبعة أحرف ، والمراء في القرآن كفر - قالها ثلاثاً - ما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه جل جلاله » وهذا إسناد صحيح ، ولكن فيه علة بسبب قول الراوي لا أعلمه إلا عن أبي هريرة . وقال ابن المنذر في تفسيره : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني نافع بن يزيد ، قال : يقال الراسخون في العلم المتواضعون لله ، المتذللون لله في مرضاته ، لا يتعاضمون على من فوقهم ولا يحقرون من دونهم . ثم قال تعالى عنهم غميراً أنهم دعوا ربهم قائلين ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ . أي لا تملأها عن الهدى بعد إذ أقمتهما عليه ، ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ، ودينك القويم ، ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة ﴾ ثبتت بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ، وتزيدنا بها إيماناً وإيقاناً ، ﴿ إنك أنت الوهاب ﴾ . قال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي ، وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، قال جميعاً : حدثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، أن النبي ﷺ كان يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » ثم قرأ ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ . ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن بكار ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن ، سمعتها

تحدث : إن رسول الله ﷺ ، كان يكثر من دعائه «اللهم مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك» قالت : قلت : يا رسول الله ، وإن القلب ليتقلب ؟ قال «نعم» ، ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاعه» فسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب . وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسد بن موسى ، عن عبد الحميد بن بهرام به مثله ؛ ورواه أيضاً عن المثني عن الحجاج بن منهل عن عبد الحميد بن بهرام به مثله ، وزاد : قلت : يا رسول الله ، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي ؟ قال «بلى ، قلبي اللهم رب ، محمد النبي ، اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجبرني من معضلات الفتن» . ثم قال ابن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي ، حدثنا العباس بن الوليد الخلال ، أنا يزيد بن يحيى بن عبيد الله ، أنا سعيد بن بشير عن قتادة ، عن حسان الأعرج ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يدعو «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قلت : يا رسول الله ، ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء ؟ فقال «ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن ، إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاعه ، أما تسمعي قوله ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ ، غريب من هذا الوجه ، ولكن أصله ثابت في الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة . وقد رواه أبو داود والنسائي وابن مردويه من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ ، زاد النسائي وابن حبان وعبد الله ابن وهب ، كلاهما عن سعيد بن أبي أيوب : حدثني عبد الله بن الوليد التميمي عن سعيد بن المسيب ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ ، كان إذا استيقظ من الليل قال «لا إله إلا أنت ، سبحانك أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدي علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب» لفظ ابن مردويه : أنه أخبره أنه سمع قيس بن الحارث يقول : أخبرني أبو عبد الله الصنابحي أنه صلى وراء أبي بكر الصديق رضي الله عنه المغرب ، فقرأ أبو بكر في الركعتين الأولىين بأم القرآن وسورتين من قصار المفصل ، وقرأ في الركعة الثالثة ، قال : فدنوت منه حتى إن ثيابي لتكاد تمس ثيابه ، فسمعتة يقرأ بأم القرآن وهذه الآية ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ الآية . قال أبو عبيد : وأخبرني عباد بن نسي أنه كان عند عمر بن عبد العزيز في خلافته ، فقال عمر لقيس : كيف أخبرتني عن أبي عبد الله ؟ قال عمر : فما تركناها منذ سمعناها منه وإن كنت قبل ذلك لعل غير ذلك ، فقال له رجل : على أي شيء كان أمير المؤمنين قبل ذلك ، قال : كنت أقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ؛ وقد روى هذا الأثر الوليد بن مسلم عن مالك والأوزاعي ، كلاهما عن أبي عبيد . به . وروى هذا الأثر الوليد أيضاً عن ابن جابر ، عن يحيى بن يحيى الغساني ، عن عمود بن لبيد ، عن الصنابحي ، أنه صلى خلف أبي بكر المغرب ، فقرأ في الأولىين بفاتحة الكتاب وسورة قصيرة يجهل بالقراءة ، فلما قام إلى الثالثة ، ابتداء القراءة ، فدنوت منه حتى أن ثيابي لتمس ثيابه ، فقرأ هذه الآية ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا ﴾ الآية .

وقوله ﴿ ربنا إنك جامع الناس ليوم لا رب فيه ﴾ أي يقولون في دعائهم : إنك يا ربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم ، وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه ، وتجزي كلاً بعمله وما كان عليه في الدنيا من خير وشر .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ تُنْفَخَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١١﴾ كَذَابٌ عَالٍ

فَرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾

يخبر تعالى عن الكفار بأنهم وقود النار ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار ﴾ وليس ما أوتوه في الدنيا من الأموال والأولاد بنافع لهم عند الله ، ولا ينجيهم من عذابه وأليم عقابه ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليذهبهم بها في الحياة الدنيا وترحق أنفسهم وهم كافرون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لا يفرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ ، وقال ههنا ﴿ إن الذين كفروا ﴾ أي بآيات الله ، وكذبوا رسله ، وخالفوا كتابه ، ولم ينتفعوا بوجوه إلى أنبيائه ﴿ لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار ﴾ أي حطبها الذي تسجر به ، وتوقد به ، كقوله : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ الآية . قال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبي : حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا ابن لهيعة ، أخبرني ابن الهاد عن هند بنت الحارث ، عن أم الفضل أم عبد الله بن عباس ، قالت : بينما نحن بمكة ، قام رسول الله ﷺ من الليل فنادى «هل بلغت اللهم ، هل بلغت» ثلاثاً ؛ فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : نعم ، ثم أصبح فقال رسول الله ﷺ «ليظهن الإسلام حتى يرد

الكفر إلى موطنه ، وليخوضن رجال البحار بالإسلام ، وليأتين على الناس زمان يتعلمون القرآن ويقرؤونه ، ثم يقولون : قرأنا وعلمنا ، فمن هذا الذي هو خير منا ، فهل في أولئك من خير ؟ قالوا : يا رسول الله ، فمن أولئك ؟ قال « أولئك منكم ، وهم وقود النار » وقد رواه ابن مردويه من حديث يزيد بن عبد الله بن الهاد ، عن هند بنت الحارث امرأة عبد الله بن شداد ، عن أم الفضل ، أن رسول الله ﷺ قام ليلة بمكة ، فقال « هل بلغت » يقولها ثلاثاً ؛ فقام عمر بن الخطاب وكان أوها ، فقال : اللهم نعم ، وحرصت ، وجهدت ، ونصحت ، فاصبر ؛ فقال النبي ﷺ « ليظهرن الإيمان حتى يرد الكفر إلى موطنه ، وليخوضن رجال البحار بالإسلام ، وليأتين على الناس زمان يقرؤون القرآن ، فيقرؤونه ويعلمونه ، فيقولون : قد قرأنا وقد علمنا ، فمن هذا الذي هو خير منا ؟ فما في أولئك من خير ؟ قالوا : يا رسول الله ، فمن أولئك ؟ قال « أولئك منكم ، أولئك هم وقود النار » ثم رواه من طريق موسى بن عبيدة عن محمد بن إبراهيم عن بنت الهاد عن العباس بن عبد المطلب بنحوه .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس : كصنيع آل فرعون ؛ وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد ، ومنهم من يقول : كسنة آل فرعون ، وكفعل آل فرعون ، وكشبه آل فرعون ، والألفاظ متقاربة ؛ والدأب بالتسكين والتحريك كنهز ونهر ، هو الصنيع والحال والشأن والأمر والعادة ، كما يقال لا يزال هذا دأباً ودأبك ، وقال امرؤ القيس :

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تأسف أسي وتجمل
كذابك من أم الخويرث قبلها وجاريتها أم الرباب بمأسل

والمعنى كعادتك في أم الخويرث حين أهلكت نفسك في حبها وبكيت دارها ورسمها ؛ والمعنى في الآية أن الكافرين لا تنغي عنهم الأموال ولا الأولاد ، بل يهلكون ويعذبون كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسل فيما جاءوا به من آيات الله وحججه ، ﴿ والله شديد العقاب ﴾ أي شديد الأخذ أليم العذاب لا يمتنع منه أحد ولا يفوته شيء ، بل هو الفعال لما يريد الذي قد غلب كل شيء لا إله غيره ولا رب سواه .

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَهُمْ آسَافَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ قَدْ كَانَ

لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ

يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٧﴾

يقول تعالى : ﴿ قل يا محمد للكافرين ستغلبون أي في الدنيا ، وتحشرون ﴾ أي يوم القيامة ﴿ إلى جهنم وبئس المهاد ﴾ وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار عن عاصم بن عمرو بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ، ورجع إلى المدينة ، جمع اليهود في سوق بني قينقاع ، وقال « يا معشر اليهود اسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشاً » . فقالوا : يا محمد لا يفترك من نفسك أن قتلت نفرأ من قريش كانوا أغياراً لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلاً ؛ فأنزل الله في ذلك قولهم ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد - إلى قوله - لعبرة لأولي الأبصار ﴾ وقد رواه محمد بن إسحاق أيضاً ، عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد وعكرمة ، عن ابن عباس ، فذكروه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ قد كان لكم آية ﴾ أي قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم آية ، أي دلالة على أن الله معز دينه ، وناصر رسوله ، ومظهر كلمته ، ومعل أمره ﴿ في فئتين ﴾ أي طائفتين ﴿ التقتا ﴾ أي للقتال ﴿ فئة تقتل في سبيل الله وأخرى كافرة ﴾ وهم مشركو قريش يوم بدر ؛ وقوله : ﴿ يرونهم مثليهم رأي العين ﴾ قال بعض العلماء فيها حكاية ابن جرير : يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثليهم في العدد رأي أعينهم ، أي جعل الله ذلك فيما رآه سبباً لنصرة الإسلام عليهم ، وهذا لا إشكال عليه إلا من جهة واحدة ، وهي أن المشركين بعثوا عمر بن سعد يومئذ قبل القتال يحجز لهم المسلمين ، فأخبرهم بأنهم ثلاثمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، وهكذا كان الأمر . كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، ثم لما وقع القتال أمدهم الله بألف من خواص الملائكة ومساعدتهم .

[والقول الثاني] أن المعنى في قوله تعالى : ﴿ يرونهم مثليهم رأي العين ﴾ أي يرى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم ، أي ضعفهم في العدد ، ومع هذا نصرهم الله عليهم ، وهذا لا إشكال فيه على ما رواه العوفي عن ابن عباس : إن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، والمشركين كانوا ستمائة وستة وعشرين وكان هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية ، ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس ، وخلاف المعروف عند الجمهور أن المشركين كانوا

ما بين تسعمائة إلى ألف ، كما رواه محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أن رسول الله ﷺ ، لما سأل ذلك العبد الأسود لبني الحجاج عن عدة قریش قال : كثير ، قال «كم ينحرون كل يوم» ؟ قال : يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، قال النعمان بن النعمان «القوم ما بين تسعمائة إلى ألف» . وروى أبو إسحاق السبيعي ، عن جارية ، عن علي رضي الله عنه ، قال : كانوا ألفاً ، وكذا قال ابن مسعود . والمشهور أنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف ، وعلى كل تقدير كانوا ثلاثة أمثال المسلمين ، وعلى هذا فيشكل هذا القول ، والله أعلم ؛ لكن وجه ابن جرير هذا وجعله صحيحاً كما تقول : عندي ألف ، وأنا محتاج إلى مثلها ، وتكون محتاجاً إلى ثلاثة آلاف ، كذا قال ؛ وعلى هذا فلا إشكال ، لكن بقي سؤال آخر وهو وارد على القولين ، وهو أن يقال : ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر ﴿ وَإِذْ يَرْكَبُكُمْ إِذِ التَّيْمَةُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقَلُّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ فالجواب أن هذا كان في حالة والآخر كان في حالة أخرى ، كما قال السدي عن الطيب عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ الثَّنَاءِ ﴾ الآية ؛ قال : هذا يوم بدر . قال عبد الله بن مسعود : وقد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْكَبُكُمْ إِذِ التَّيْمَةُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقَلُّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ الآية ؛ وقال أبو إسحاق عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جانبي : تراهم سبعين ؟ قال : تراهم مائة . قال : فأسرنا رجلاً منهم ، فقلنا ؛ كم كنتم ؟ قال : ألفاً ، فعندما عاين كل من الفريقين الآخر ، رأى المسلمون المشركين مثلهم ، أي أكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة من ربهم عز وجل ، ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلح ؛ ثم لما حصل التصف والتقى الفريقان ، قلل الله هؤلاء في أعين هؤلاء ، وهؤلاء في أعين هؤلاء ، ليقدّم كل منهم على الآخر ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ أي ليفرق بين الحق والباطل ، فيظهر كلمة الإيمان على الكفر والطغيان ، ويعز المؤمنين ويذل الكافرين ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِيَدِ وَأَتَمَّ أَذْلَهُ ﴾ وقال ههنا ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ أي إن في ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم ليهتدي به إلى حكم الله وأفعاله وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ،

زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَفْضَكَةِ

وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٦﴾ قُلْ

أَوْ نَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِيَذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْأَعْمَارِ ﴿١٧﴾

يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين ، فبدأ بالنساء ، لأن الفتنة بهن أشد ؛ كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ ، قال «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» فاما إذا كان القصد بهن الاعفاف وكثرة الأولاد ، فهذا مطلوب مرغوب فيه ، مندوب إليه ، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه ، وإن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء ، وقوله ﷺ «الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة» ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله» وقوله في الحديث الآخر «حب إلى النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة» . وقالت عائشة رضي الله عنها : لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من النساء إلا الخيل ، وفي رواية من الخيل إلا النساء ؛ وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة ، فهو داخل في هذا ، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد ﷺ ممن يعبد الله وحده لا شريك له ، فهذا محمود ممدوح كما ثبت في الحديث «تزوجوا الودود الولود» ، فإني مكاثركم بالأمم يوم القيامة» ، وحب المال كذلك تارة يكون للفخر والحيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء ، فهذا مذموم ، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الأرحام والقربات ووجوه البر والطاعات ، فهذا ممدوح محمود شرعاً وقد اختلف المفسرون في مقدار القنطار على أقوال . وحاصلها أنه المال الجزيل كما قاله الضحاك وغيره ، وقيل : ألف دينار ، وقيل : ألف ومائتا دينار ، وقيل : إثنا عشر ألفاً ، وقيل : أربعون ألفاً ، وقيل : ستون ألفاً ، وقيل : سبعون ألفاً ، وقيل : ثمانون ألفاً ، وقيل غير ذلك . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ «القنطار إثنا عشر ألف أوقية ، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض» ؛ وقد رواه ابن جرير عن بNDAR ، عن ابن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، عن أبي

هريرة موقوفاً ، كرواية وكيع في تفسيره حيث قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن ذكوان أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال «القطار اثنا عشر ألف أوقية ، الأوقية خير مما بين السماء والأرض» وهذا أصح ؛ وهكذا رواه ابن جرير عن معاذ بن جبل وابن عمر ، وحكاه ابن أبي حاتم ، عن أبي هريرة وأبي الدرداء ، أنهم قالوا : القطار ألف ومائتا أوقية ؛ ثم قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا زكريا بن يحيى الضري ، حدثنا شبابة ، حدثنا غلاد بن عبد الواحد ، عن علي بن زيد ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن زر بن حبیش ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ «القطار ألف أوقية ومائتا أوقية» . وهذا حديث منكر أيضاً ، والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب كغيره من الصحابة وقد روى ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة الربذي ، عن محمد بن إبراهيم ، عن موسى ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ «من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائة آية إلى ألف ، أصبح له قطار من الأجر عند الله ، القطار منه مثل الجبل العظيم» ورواه وكيع عن موسى بن عبيدة بمعناه . وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد اللخمي ، حدثنا محمد بن عمرو بن أبي سلمة ، حدثنا زهير بن محمد ، حدثنا حميد الطويل ورجل آخر ، عن أنس بن مالك ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى : ﴿القطاير المقنطرة﴾ ؟ قال «القطار ألفا أوقية» صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ؛ وهكذا رواه الحاكم ؛ وقد رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر فقال : أنبأنا أحمد بن عبد الرحمن الرقي ، أنبأنا عمرو بن أبي سلمة ، أنبأنا زهير يعني ابن محمد ، أنبأنا حميد الطويل ورجل آخر قد ساء يعني يزيد الرقاشي ، عن أنس ، عن رسول الله ﷺ ، في قوله «قطار يعني ألف دينار» وهكذا رواه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن أبي مريم ، عن عمرو بن أبي سلمة ، فذكر بإسناد مثله سواء . وروى ابن جرير عن الحسن البصري : عنه مرسلأ أو موقوفاً عليه : القطار ألف ومائتا دينار ؛ وهو رواية العوفي عن ابن عباس . وقال الضحاك : من العرب من يقول : القطار ألف ومائتا دينار ؛ ومنهم من يقول : اثنا عشر ألفاً . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عازم عن حماد ، عن سعيد الحارسي ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ، قال : القطار مائة مسك الثور ذهباً ، قال أبو محمد : ورواه محمد بن موسى الحارسي عن حماد بن زيد مرفوعاً ، والموقوف أصح .

[وحب الخيل على ثلاثة أقسام] تارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا إليها غزوا عليها ، فهؤلاء يثابون ، وتارة تربط فخرأ ونواء لأهل الاسلام ، فهذه على صاحبها وزر ، وتارة للتعفف واقتناء نسلها ، ولم ينس حق الله في رقابها ، فهذه لصاحبها ستر كما سيأتي الحديث بذلك إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ الآية ؛ وأما المسومة ، فعن ابن عباس رضي الله عنها : المسومة الراعية ، والمطهمة الحسان ؛ وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبزى والسدي والربيع بن أنس وأبي سنان وغيرهم ؛ وقال مكحول : المسومة الغرة والتحبيل ، وقيل : غير ذلك وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الحميد بن جعفر ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سويد بن قيس ، عن معاوية بن خديج ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ «ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول : اللهم إنيك خولتي من خولتي من بني آدم ، فاجعلني من أحب ماله وأهله إليه ، أو أحب أهله وماله إليه» وقوله تعالى ﴿ والأتنام ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم ، ﴿ والحارث ﴾ يعني الأرض المتخذة للغراس والزراعة ؛ وقال الإمام أحمد : حدثنا روح بن عباد ، حدثنا أبو نعام العدوي ، عن مسلم بن بديل ، عن إياس بن زهير ، عن سويد بن هبيرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال «خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة» المأبورة : الكثيرة النسل ، والسكة : النخل المصطف ، والمأبورة : الملقحة .

ثم قال تعالى ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا ﴾ أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة ﴿ والله عنده حسن المآب ﴾ أي حسن المرجع والثواب .

وقد قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير عن عطاء ، عن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد ، قال : قال عمر بن الخطاب لما نزلت ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ قلت : الآن يا رب حين زينتها لنا ؛ فنزلت ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا ﴾ الآية ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ﴾ أي قل يا محمد للناس : أؤنبئكم بخير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذي هو زائل لا محالة ، ثم أخبر عن ذلك فقال : ﴿ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي تنخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ﴿ خالدن فيها ﴾ أي ماكثين فيها أبد الأبد لا يفتنون عنها حولا ، ﴿ وأزواج مطهرة ﴾ أي من الدنس والخبث والأذى والحيف والنفس وغير ذلك مما يعتري

نساء الدنيا ﴿ ورضوان من الله ﴾ أي يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبداً ، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى التي في براءة ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ أي أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم ، ثم قال تعالى : ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ أي يعطي كلا بحسب ما يستحقه من العطاء .

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِلِينَ

وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل ؛ فقال تعالى : ﴿ الذين يقولون ربنا إنا آمنّا ﴾ أي بك وبكتابك وبرسولك ، ﴿ فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ أي بإيماننا بك وبما شرعته لنا ، فاغفر لنا ذنوبنا وتقصرنا من أمرنا بفضلك ورحمتك ، ﴿ وقنا عذاب النار ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ الصابرين ﴾ أي في قيامهم الطاعات وتركهم المحرمات ، ﴿ والصادقين ﴾ فيها أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمون من الأعمال الشاقة ، ﴿ والقائمين ﴾ والقنوت الطاعة والخضوع ، ﴿ والمستغفرين ﴾ أي من أمولهم في جميع ما أمروا به من الطاعات ، وصلة الأرحام والقرابات ، وسد الخلات ، ومواساة ذوي الحاجات ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ ذلك على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار ، وقد قيل : إن يعقوب عليه السلام ، لما قال لبيه ﴿ سوف أستغفر لكم ربي ﴾ إنه أخرهم إلى وقت السحر وثبت في الصحيحين وغيرهما من المساند والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة ، أن رسول الله ﷺ ، قال وينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من دافع فاستجب له ؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟ الحديث ؛ وقد أفرده الحافظ أبو الحسن الدارقطني في ذلك جزءاً على حدة ، فرواه من طرق متعددة . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أوله وأوسطه وآخره ، فأنتهى وتره إلى السحر . وكان عبد الله بن عمر يصلي من الليل ، ثم يقول : يا نافع ، هل جاء السحر ؟ فإذا قال : نعم ، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح ، رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي عن حريث بن أبي مطر ، عن إبراهيم بن حاطب ، عن أبيه ، قال : سمعت رجلاً في السحر في ناحية المسجد وهو يقول : يا رب ، أمرني فاطعتك ، وهذا السحر فاغفر لي . فنظرت فإذا هو ابن مسعود رضي الله عنه . وروى ابن مردويه عن أنس بن مالك قال : كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة .

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ

تَعَدٍّ مَاجَاءَهُمْ بِالْعِلْمِ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ

وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَتِينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

شهد تعالى وكفى به شهيداً وهو اصدق الشاهدين وأعدلهم ، وأصدق القائلين ﴿ أنه لا إله إلا هو ﴾ أي المنفرد بالالهية لجميع الخلائق ، وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه ، وهو الغني عما سواه ، كما قال تعالى : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك ﴾ الآية ؛ ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته ، فقال ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ﴾ وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام ﴿ قائماً بالقسط ﴾ منصوب على الحال وهو في جميع الأحوال كذلك ﴿ لا إله إلا هو ﴾ تأكيد لما سبق ، ﴿ العزيز الحكيم ﴾ العزيز الذي لا يرام جنباه عظمة وكبرياء ، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقة بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي ، حدثنا أبو سعيد الأنصاري عن أبي يحيى مولى آل الزبير بن العوام ، عن الزبير بن العوام ، قال : سمعت النبي ﷺ وهو بعرفة ، يقرأ هذه الآية ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ وأنا على ذلك

من الشاهدين يا رب ؛ وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال : حدثنا علي بن حسين ، حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني ، حدثنا عمر بن حفص بن ثابت أبو سعيد الأنصاري ، حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ هذه الآية ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة ﴾ قال : قال «وأنا أشهد أي رب» وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير : حدثنا عبدان بن أحمد وعلي بن سعيد الرازي ، قالا : حدثنا عمار بن عمر المختار ، حدثني أبي ، حدثني غالب القطان ، قال : أتيت الكوفة في تجارة ، فنزلت قريباً من الأعمش ، فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر ، قام فتهجد من الليل فمر بهذه الآية ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ثم قال الأعمش : وأنا أشهد بما شهد الله به ، واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ قالها مراراً ؛ قلت : لقد سمع فيها شيئاً فغدوت إليه فودعته ثم قلت : يا أبا محمد ؛ إني سمعتك تردد هذه الآية . قال : أو ما بلغك ما فيها ؟ قلت : أنا عندك منذ شهر لم تحدثني . قال : والله لا أحدثك بها إلى سنة ، فأقمت سنة ، فكنت على بابي ، فلما مضت السنة قلت : يا أبا محمد ، قد مضت السنة . قال : حدثني أبو وائل عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ «يما بصاحبها يوم القيامة ، فيقول الله عز وجل : عهدي إليّ وأنا أحق من وفي بالعهد ، أدخلوا عهدي الجنة» ؛ وقوله تعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام ، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ الآية ؛ وقال في هذه الآية خبراً بالانحصار الدين المتقبل منه عنده في الإسلام ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ . وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم أن الدين عند الله الإسلام ﴾ بكسر إيه ، وفتح أن الدين عند الله الإسلام ، أي شهد هو والملائكة وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام ، والجمهور قرءوها بالكسر على الخبر ، وكلا المعنيين صحيح ، ولكن هذا على قول الجمهور أظهر ، والله أعلم ؛ ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول ، إنما اختلفوا بعد ما قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم ؛ فقال : ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ﴾ أي بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرههم ، فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقاً ؛ ثم قال تعالى : ﴿ ومن يكفر بآيات الله ﴾ أي من جحد ما أنزل الله في كتابه ﴿ فإن الله سريع الحساب ﴾ أي فإن الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ، ويعاقبه على مخالفته كتابه .

ثم قال تعالى ﴿ فإن حاجوك ﴾ أي جادلوك في التوحيد ﴿ فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ﴾ أي فقل : أخلصت عبادتي لله وحده لا شريك له ، ولا ند له ، ولا ولد له ، ولا صاحبة له ؛ ﴿ ومن اتبعن ﴾ أي على ديني يقول كعقائتي ، كما قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصرية أنا ومن اتبعني ﴾ الآية ؛ ثم قال تعالى آمراً لعبيده ورسوله محمد أن يدعو إلى طريقته ودينه والدخول في شرعه وما بعثه الله به ، الكتابيين من المؤمنين والأميين من المشركين ، فقال تعالى : ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلمتم فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾ أي والله عليه حسابهم وإليه مرجعهم ومآبهم ، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ أي هو عليم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الضلالة ، وهو الذي ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ وما ذلك إلا لحكمته ورحمته ؛ وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة ، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ تبارك الذين نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ . وفي الصحيحين وغيرهما ما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه ﷺ بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك الأفاق وطوائف بني آدم من عربهم وعجمهم كتابيهم وأمهم امتثالاً لأمر الله له بذلك . وقد روى عبد الرزاق عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال «والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة : يهودي ولا نصراني ، ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار» رواه مسلم . وقال ﷺ «بعثت إلى الأحمر والأسود» ؛ وقال «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه : أن غلاماً يهودياً كان يضع للنبي ﷺ وضوئه ، ويناوله نعليه ، فمرض ، فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه ، فقال له النبي ﷺ «يا

فلان قل لا إله إلا الله فنظر إلى أبيه فسكت أبوه ؛ فأعاد النبي ﷺ ، فنظر إلى أبيه ؛ فقال أبوه : أطع أبا القاسم . فقال الغلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ؛ فخرج النبي ﷺ وهو يقول والحمد لله الذي أخرجه بي من النار رواه البخاري في الصحيح ، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ

الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالُهُمْ مِنَ النَّصِيرِ ﴿١٧﴾

هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله ، قديماً وحديثاً ، التي بلغتهم إياها الرسل استكباراً عليهم ، وعناداً لهم ، وتعاضلاً على الحق ، واستنكافاً على اتباعه ، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سب ولا جريمة منهم إليهم ، إلا لكونهم دعوهم إلى الحق ﴿١٦﴾ ويقتلون الذين يأمرهم بالقسط من الناس ﴿١٧﴾ وهذا هو غاية الكبر ، كما قال النبي ﷺ «الكبر بضر الحق وغطت الناس» . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابوري نزيل مكة ، حدثني أبو حفص عمر بن حفص يعني ابن ثابت بن زرارَةَ الأنصاري ، حدثنا أبو محمد بن حمزة ، حدثنا أبو الحسن مولى لبني أسد ، عن مكحول ، عن أبي قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، عن أبي عبيدة بن الجراح ، رضي الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله ، أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة ؟ قال «رجل قتل نبياً ، أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿١٦﴾ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرهم بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ﴿١٧﴾ الآية ؛ ثم قال رسول الله ﷺ «يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مائة وسبعون رجلاً من بني إسرائيل فأمرؤا من قتلهم بالمعروف ونهؤهم عن المنكر ، فقتلوهم جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم ، فهم الذين ذكر الله عز وجل» وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عبيد الوصابي محمد بن حفص ، عن ابن حمير ، عن أبي الحسن مولى بني أسد ، عن مكحول به ؛ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار ، وأقاموا سوق بقلهم من آخره ، رواه ابن أبي حاتم . ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا عن الخلق ، قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا ، والعذاب المهين في الآخرة ؛ فقال تعالى : ﴿١٦﴾ فبشرهم بعذاب أليم ﴿١٧﴾ أي موجه مهين ﴿١٦﴾ أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴿١٧﴾ .

أَنزَلْنَا إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا الصِّبْيَا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّى فُرُوقَهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٨﴾

دَلِيلُكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٩﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ

يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى منكرأ على اليهود والنصارى المتسكين فيما يزعمون بكتابتهم للذين بأيديهم ، وهم التوراة والإنجيل ، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيها من طاعة الله فيها أمرهم به فيها من اتباع محمد ﷺ ، تولوا وهم معرضون عنها ، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد ؛ ثم قال تعالى : ﴿١٨﴾ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ﴿١٩﴾ أي إنما حلهم وجراهم على مخالفة الحق افتراؤهم على الله فيما ادعوه لأنفسهم أنهم إنما يعذبون في النار سبعة أيام عن كل ألف سنة في الدنيا يوماً ، وقد تقدم تفسير ذلك في سورة البقرة . ثم قال تعالى : ﴿١٩﴾ وغرّبوا في دينهم ما كانوا يفترون ﴿٢٠﴾ أي ثبتهم على دينهم الباطل ، ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم إلا أياماً معدودات ، وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم واختلفوه ، ولم ينزل الله به سلطاناً ، قال الله تعالى متهدداً لهم ومتوعداً ﴿٢٠﴾ فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ﴿٢١﴾ أي كيف يكون حالهم وقد افتروا على الله ، وكذبوا رسله ، وقتلوا أنبياءه ، والعلماء من قومهم . الأمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، والله تعالى سألهم عن ذلك كله وحاكم عليهم ومجازيهم به ، ولهذا قال تعالى : ﴿٢٠﴾ فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ﴿٢١﴾ أي لا شك في وقوعه وكونه ؛ ﴿٢٠﴾ ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿٢١﴾ .

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُصَرِّفُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ
مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٩﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٧٠﴾

يقول تبارك وتعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد معظماً لربك وشاكراً له ومفوضاً إليه ومتوكلاً عليه ﴿ اللهم مالك الملك ﴾ أي لك الملك كله ﴿ تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ﴾ أي أنت المعطي ، وأنت المانع ، وأنت الذي ما شئت كان ، وما لم تشأ لم يكن وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة ، لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأمي المكّي ، خاتم الأنبياء على الإطلاق ، ورسول الله إلى جميع الثقّلين : الإنس والجن ، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله ، وخصه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء ، ولا رسولاً من الرسل في العلم بالله وشريعته ، وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية ، وكشفه له عن حقائق الآخرة ، ونشر امته في الأفاق في مشارق الأرض ومغاربها ، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع ؛ فصولات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار . ولهذا قال تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ الآية ؛ أي أنت المتصرف في خلقك ، الفعال لما تريد ، كما رد تعالى على من يحكم عليه في أمره حيث قال ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ ؛ قال الله ردّاً عليهم ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾ الآية ؛ أي نحن نتصرف فيها خلقنا كما نريد بلا مانع ولا مدافع ، ولنا الحكمة البالغة ، والحجة التامة في ذلك ، وهكذا يعطي النبوة لمن يريد ؛ كما قال تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ وقال تعالى : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ﴾ الآية ؛ وقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة إسحاق بن أحمد من تاريخه ، عن المأمون الخليفة ، انه رأى في قصر ببلاد الروم مكتوباً بالحميرية ، فعرّب له ، فاذا هو باسم الله ما اختلف الليل والنهار ، ولا دارت نجوم السماء في الفلك إلا بنقل النعيم عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك . وملك ذي العرش دائم أبداً ليس بفان ولا بمشترك ، وقوله تعالى : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ أي تأخذ من طول هذا فتزيده في قصر هذا ، فيعتدلان ، ثم تأخذ من هذا في هذا فيفتاوتان ، ثم يعتدلان ، وهكذا في فصول السنة ربيعاً وصيفاً وخريفاً وشتاء ، وقوله تعالى : ﴿ وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾ أي تخرج الزرع من الحب ، والحب من الزرع ، والنخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والمؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، والدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء ﴿ وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ أي تعطي من شئت من المال ما لا يعده ولا يقدر على إحصائه ، وتقتر على آخرين لما لك في ذلك من الحكمة والارادة والمشية قال الطبراني : حدثنا محمد بن زكريا العلائي ، حدثنا جعفر بن حسن بن فرقد ، حدثنا أبي عن عمر بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ ، قال واسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في هذه الآية من آل عمران ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ .

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَسْقُوهُمْ مِنْهُ

نَقْلَةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾

نهي تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين ، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ، ثم توعد على ذلك ؛ فقال تعالى : ﴿ ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ أي ومن يرتكب نهي الله في هذا ، فقد برىء من الله ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة - إلى أن قال - : ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل ﴾ ؛ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ؛ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً ﴾ ؛ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ الآية . وقال تعالى بعد ذكر موالاة المؤمنين من المهاجرين والأنصار

والأعراب ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير ﴾ ؛ وقوله تعالى : ﴿ إلا أن تتقوا منهم ثقاة ﴾ أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم ، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته ، كما قال البخاري عن أبي الدرداء : إنه قال «إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم» . وقال الثوري : قال ابن عباس : ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان ؛ وكذا رواه العوفي عن ابن عباس : إنما التقية باللسان ؛ وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء والضحاك والربيع بن أنس . ويؤيد ما قاله قول الله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ الآية . وقال البخاري : قال الحسن : التقية إلى يوم القيامة ؛ ثم قال تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أي يحذركم نعمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن وإلى أعدائه ، وعادى أوليائه . ثم قال تعالى : ﴿ وإلى الله المصير ﴾ أي إليه المرجع والمنقلب ليجازي كل عامل بعمله . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا مسلم بن خالد عن ابن أبي حسين ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن ميمون بن مهران ، قال : قام فينا معاذ ، فقال : يا بني أود ، أي رسول رسول الله إليكم ، تعلمون أن المعاد إلى الله إلى الجنة أو إلى النار .

قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ يُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَحْذَرُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ تُحْضِرُهَا وَمَا عَمِلَتْ

مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

يُغَيِّرُ تَبَارَكَ وتعالى عبادته انه يعلم السرائر والضمائر والظواهر ، وانه لا يخفى عليه منهم خافية ، بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال والأزمان والأيام واللحظات وجميع الأوقات ، وجميع ما في الأرض والسماوات لا يغيب عنه مثقال ذرة ، ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال ؛ ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ أي وقدرته نافذة في جميع ذلك ، وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته لئلا يرتكبوا ما نهى عنه وما ييغضه منهم ، فإنه عالم بجميع أمورهم ، وهو قادر على معاجلتهم بالعقوبة ، وإن أنظر من أنظر منهم ، فإنه يجهل ، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ؛ ولهذا قال بعد هذا ﴿ يوم تحمد كل نفس ما عملت من خير يحضرها ﴾ الآية ؛ يعني يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر ، كما قال تعالى ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ فما رأى من أعماله حسناً سره ذلك وأفرحه ، وما رأى من قبيح ساءه وغصه وود لو أنه تبرأ منه وأن يكون بينها أمد بعيد ، كما يقول لشيطنه الذي كان مقرّناً به في الدنيا ، وهو الذي جرّاه على فعل السوء ﴿ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبش القرين ﴾ ؛ ثم قال تعالى مؤكداً ومهدداً ومتوعداً ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أي يخوفكم عقابه ؛ ثم قال جل جلاله مرجعاً لعباده لئلا ييسئوا من رحمته ويقنطوا من لطفه ﴿ والله رؤوف بالعباد ﴾ قال الحسن البصري : من رآفته بهم حذرهم نفسه وقال غيره : أي رحيم . بخلقه يجب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم وأن يتبعوا رسوله الكريم .

فَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فانه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي ، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ؛ كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ ، أنه قال «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رده» ولهذا قال ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبة إياكم ، وهو أعظم من الأول ؛ كما قال بعض العلماء الحكماء : ليس الشأن أن تحب ، إنما الشأن أن تحب . وقال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم انهم يحبون الله ، فابتلاهم الله بهذه الآية ، فقال ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ قد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا عبد الله بن موسى عبد الأعلى بن أعين ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال

رسول الله ﷺ «وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ ، وقال أبو زرعة عبد الأعلى: هذا منكر الحديث .

ثم قال تعالى: ﴿وَيُغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ، والله غفور رحيم ﴿أَيَّ بِاتِّبَاعِكُمُ الرَّسُولَ ﷺ﴾ ، يحصل لكم هذا من بركة سفارته ؛ ثم قال تعالى أمراً لكل أحد من خاص وعام ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي تخالفوا عن أمره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك ، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب الله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين : الجن والإنس ، الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه ما وسعهم إلا اتباعه ، والدخول في طاعته ، واتباع شريعته ؛ كما سيأتي تقريره عند قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ الآية ؛ إن شاء الله تعالى .

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾

يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض ، فاصطفى آدم عليه السلام خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسما كل شيء ، وأسكنه الجنة ، ثم أهبطه منها لما له في ذلك من الحكمة ، واصطفى نوحاً عليه السلام وجعله أول رسول بعثه إلى أهل الأرض ، لما عبد الناس الأوثان ، واشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وانتقم له لما طالت مدته بين ظهري قومه يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً ، سرّاً وجهاراً ، فلم يزداهم ذلك إلا فراراً ، فدعا عليهم ، فأغرقهم الله عن آخرهم ، ولم ينج منهم إلا من اتبعه على دينه الذي بعثه الله به ، واصطفى آل إبراهيم ، ومنهم سيد البشر خاتم الأنبياء على الإطلاق محمد ﷺ ، وآل عمران والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عليه السلام . قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله : هو عمران بن ياشم بن ميثابن حزقيا بن ابراهيم بن غرايا بن ناوش بن أجر بن هوا بن نازم بن مقاسط بن إيشابن إياض بن رخييم بن سليمان بن داود عليها السلام ، فعيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم كما سيأتي بيانه في سورة الأنعام ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فَلَمَّا

وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ

وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٢﴾

إمرأة عمران هذه هي أم مريم عليها السلام ، وهي حنة بنت فاقوذ قال محمد بن إسحاق : وكانت امرأة لا تحمل ، فرأت يوماً طائراً يزق فرخه ، فاشتتهت الولد ، فدعت الله تعالى أن يهبها ولداً ، فاستجاب الله دعاءها ، فواقعها زوجها ، فحملت منه ، فلما تحققت الحمل ، نذرت أن يكون محرراً أي خالصاً مفرغاً للعبادة لخدمة بيت المقدس ، فقالت : يا رب ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ ، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴿أَيَّ السَّمِيعِ لِدُعَائِي الْعَلِيمِ بَنِيَّتِي﴾ ، ولم تكن تعلم ما في بطنها : أذكر أم أنثى ؟ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ قرئ برفع التاء ، على أنها تاء المتكلم ، وأن ذلك من تمام قولها ، وقرئ بتسكين التاء ؛ على أنه من قوله الله عز وجل : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا ، وقد حكى مقررنا ، وبذلك ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ حيث قال «ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم» أخرجه ؛ وكذلك ثبت فيها : أن أنس بن مالك ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله ﷺ فحنكه وسماه عبد الله ؛ وفي صحيح البخاري : أن رجلاً قال : يا رسول الله ولد لي الليلة ولد فما أسميه ؟ قال «سم ابنك عبد الرحمن» ، وثبت في الصحيح أيضاً : أنه لما جاءه أبو أسيد بانبته ليحنكه ، فذهل عنه ، فأمر به أبوه ، فرد إلى منزلهم ، فلما ذكر رسول الله ﷺ في المجلس ساه المنذر ، فأما حديث قتادة عن الحسن البصري عن سمرة بن جندب ، أن رسول الله ﷺ ، قال «كل غلام مرتين بعقيقته ، يذبح عنه يوم السابع ، ويسمى ويحلق رأسه» فقد رواه أحمد وأهل السنن ، وصححه الترمذي ، وروى : ويدهم ، وهو أثبت وأحفظ ، والله أعلم . وكذا ما رواه الزبير بن بكار في

كتاب النسب أن رسول الله ﷺ ، علق عن ولده إبراهيم وسماه إبراهيم ، فإسناده لا يثبت ، وهو مخالف لما في الصحيح ، ولو صح لحمل على أنه اشتهر اسمه بذلك يومئذ ، والله أعلم ؛ وقوله إخباراً عن أم مريم أنها قالت ﴿ وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ أي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان ، وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام ، فاستجاب الله لها ذلك ؛ كما قال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ « ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخاً من مسه إياه ، إلا مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة : اقرعوا إن شئتم ﴿ وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ ، أخرجه من حديث عبد الرزاق ؛ ورواه ابن جرير عن أحمد بن الفرج ، عن بقة ، عن الزبيدي ، عن الزهري عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه . وروي من حديث قيس ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ « ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين ، إلا عيسى ابن مريم ومريم » ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ ومن حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ، ورواه مسلم عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي يونس ، عن أبي هريرة . ورواه ابن وهب أيضاً ، عن ابن أبي ذئب ، عن عجلان مولى المشعل ، عن أبي هريرة . ورواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بأصل الحديث . وهكذا رواه الليث بن سعد ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، قال : قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه إلا عيسى ابن مريم ، ذهب يطعن ، فطعن بالحجاب » .

فَقَبَلَهَا رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنًا وَأَنْتَبَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَتَرَمَّمُ أَنَّ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧٧﴾

يخبر ربنا أنه قبلها من أمها نذيرة ، وأنه انتبها نباتاً حسناً ، أي جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً ، ويسر لها أسباب القبول ، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين ، فلهذا قال ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَّا ﴾ بتشديد الفاء ، ونصب زكريا على المفعولية ، أي جعله كافلاً لها . قال ابن إسحاق : وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة . وذكر غيره : أن بني إسرائيل أصابهم سنة جدد ، فكفل زكريا مريم لذلك ، ولا منافاة بين القولين ؛ والله أعلم . وإنما قدر الله كونه زكريا كفلاً لسعادتها ، لتقتبس منه علماً بما نافعا وعملاً صالحاً ، ولأنه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما ؛ وقيل : زوج اختها ؛ كما ورد في الصحيح « فإذا يبعث عيسى وهما ابنا الخالة » وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحاق ذلك أيضاً توسعاً ؛ فعل هذا كانت في حضنة خالتها وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قضى في عمارة بنت حمزة أن تكون في حضنة خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب ، وقال « الخالة بمنزلة الأم » ، ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلادتها في محل عبادتها ؛ فقال ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ﴾ . قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي : يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف . وعن مجاهد ﴿ وجد عندها رزقاً ﴾ أي علماً ، أو قال : صحفاً فيها علم ؛ رواه ابن أبي حاتم ، والأول أصح وفيه دلالة على كرامات الأولياء . وفي السنة لهذا نظائر كثيرة ؛ فإذا رأى زكريا هذا عندها ﴿ قال يا مريم أنى لك هذا ﴾ أي يقول من أين لك هذا ؟ ﴿ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ . وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا سهل بن زنجلة ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا عبد الله بن لهيعة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ ، أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه ، فطاف في منازل أزواجه ، فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً ، فأتى فاطمة فقال « يا بنية هل عندك شيء أكله ، فإني جائع ؟ » قالت : لا والله - بأبي أنت وأمي - ؛ فلما خرج من عندها ، بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم ، فأخذته منها ، فوضعت في جفنة لها ، وقالت : والله لأؤثرن بهذا رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي ، وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبة طعام ، فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله ﷺ ، فرجع إليها ، فقالت : بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء فخبأته لك . قال « هلمي يا بنية » . قالت : فاتيته بالجفنة ، فكشفت عنها ، فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً ، فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله ، فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه حمد الله وقال « من أين لك هذا يا بنية ؟ » قالت : يا أبت ﴿ هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ فحمد الله وقال « الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بني

إسرائيل ، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً وسئلت عنه ، قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، فبعث رسول الله ﷺ إلى علي ، ثم أكل رسول الله ﷺ ، وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي ﷺ وأهل بيته حتى شبعوا جميعاً ، قالت : وبقيت الجفنة كما هي ، قالت : فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران ، وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً .

هَذَا لَكَ دَعَاكَ رَبِّي قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَصَدَقَةٍ مُصَدِّقًا لِمَقْدَمِكَ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحْصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادُّعُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَصِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾

لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يزرق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، طمع حيثئذ في الولد وإن كان شيخاً كبيراً قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيباً ، وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقراً ، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفياً ، وقال ﴿ رب هب لي من لدنك ﴾ أي من عندك ﴿ ذرية طيبة ﴾ أي ولداً صالحاً ﴿ إنك سميع الدعاء ﴾ . قال الله تعالى : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ﴾ أي خاطبته الملائكة شفاهاً خطاباً ، أسمعتة وهو قائم يصلي في محراب عبادته وعمل خلوته ومجلس مناجاته وصلاته . ثم أخبر تعالى عما بشرته به الملائكة ﴿ أن الله يشرك بعبادته ﴾ أي بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى . قال قتادة وغيره : إنما سمي يحيى لأن الله أحياه بالإيمان . وقوله ﴿ مصدقاً بكلمة من الله ﴾ . روى العوفي وغيره عن ابن عباس ، وقال الحسن وقاتدة وعكرمة ومجاهد وأبو الشعثاء والسدي والربيع بن أنس والضحاك وغيره في هذه الآية ﴿ مصدقاً بكلمة من الله ﴾ أي بعيسى بن مريم . وقال الربيع بن أنس : هو أول من صدق بعيسى بن مريم . وقال قتادة : وعمل سنته ومنهجه . وقال ابن جريج : قال ابن عباس في قوله مصدقاً بكلمة من الله ، قال : كان يحيى وعيسى ابني خالة ، وكانت أم يحيى تقول لمريم : إنني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك ، فذلك تصديقه له في بطن أمه ، وهو أول من صدق عيسى ، وكلمة الله عيسى ، وهو أكبر من عيسى عليه السلام ؛ وهكذا قال السدي أيضاً .

وقوله ﴿ وسيداً ﴾ قال أبو العالية والربيع بن أنس وقاتدة وسعيد بن جبير وغيرهم : الحليم . وقال قتادة : سيداً في العلم والعبادة . وقال ابن عباس والثوري والضحاك : السيد الحليم التقى . قال سعيد بن المسيب : هو الفقيه العالم . وقال عطية : السيد في خلقه ودينه . وقال عكرمة : هو الذي لا يغلبه الغضب . وقال ابن زيد : هو الشريف . وقال مجاهد وغيره : هو الكريم على الله عز وجل .

وقوله ﴿ وحضوراً ﴾ روي عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء وعطية العوفي ؛ أنهم قالوا : الذي لا يأتي النساء . وعن أبي العالية والربيع بن أنس : هو الذي لا يولد له ولا ماء له . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن المغيرة ، أنبأنا جرير عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس في الحضور : الذي لا ينزل الماء . وقد روى ابن أبي حاتم في هذا حديثاً غريباً جداً ، فقال : حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب البغدادي ، حدثني سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد يعني ابن العوام ، عن يحيى بن سعيد ، عن المسيب ، عن ابن العاص - لا يدري عبد الله أو عمرو - عن النبي ﷺ في قوله ﴿ وسيداً وحضوراً ﴾ قال : ثم تناول شيئاً من الأرض ، فقال « كان ذكره مثل هذا » . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منان ، حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، أنه سمع سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنوب غير يحيى بن زكريا . ثم قرأ سعيد ﴿ وسيداً وحضوراً ﴾ ثم أخذ شيئاً من الأرض ، فقال : الحضور من كان ذكره مثل ذا . وأشار يحيى بن سعيد القطان بطرف أصبعه السبابة ، فهذا موقوف أصح إسناداً من المرفوع . ورواه ابن المنذر في تفسيره : حدثنا أحمد بن داود السمناني ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا علي بن مسهر ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ « ما من عبد يلقى الله إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا ، فإن

الله يقول ﴿ وسيداً وحسوراً ﴾ - قال :- وإنما ذكره مثل هدية الثوب، وأشار بأمرته ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عيسى بن حماد ومحمد بن عجلان ، عن القعقاع ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « كل ابن آدم يلقي الله بذنوب يعذب عليه إن شاء أو يرحمه ، إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين » ثم أهوى النبي ﷺ إلى قذاة من الأرض ، فأخذها وقال : « وكان ذكره مثل هذه القذاة » .

وقد قال القاضي عياض في كتابه الشفاء : أعلم أن شاء الله تعالى على يحيى أنه كان ﴿ حصوراً ﴾ ليس كما قاله بعضهم إنه كان هيوباً أو لا ذكر له ، بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ، ونقاد العلماء ، وقالوا : هذه نقيصة وعيب ، ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام ، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أي لا يأتيها كانه حصور عنها . وقيل : مانعاً نفسه من الشهوات . وقيل : ليست له شهوة في النساء ؛ وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص ، وإنما الفضل في كونها موجودة ، ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى ، أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام ، ثم هي في حق من قدر عليها ، وقام بالواجب فيها ، ولم تشغله عن ربه درجة عليا ، وهي درجة نبينا ﷺ الذي لم يشغله كثرتن عن عبادة ربه ، بل زاده ذلك عبادة بتحسينه وقيامه عليهن وإكسابه لهن وهدايته إياهن ، بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو ، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره ، فقال : « حب إلي من دنياكم » هذا لفظه . والمقصود أنه مدح يحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء ، بل معناه كما قاله هو وغيره : أنه معصوم من الفواحش والقاذورات ، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن ، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال : ﴿ هب لي من لدنك ذرية طيبة ﴾ كأنه قال : ولدا له ذرية ونسل وعقب ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقوله : ﴿ ونبياً من الصالحين ﴾ هذه بشارة ثانية بنبوته يحيى بعد البشارة بولادته ، وهي أعلى من الأولى ، كقوله لأم موسى ﴿ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ فلما تحقق زكريا عليه السلام هذه البشارة ، أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر ﴿ قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتى عاقر قال ﴾ - أي الملك - ﴿ كذلك الله يفعل ما يشاء ﴾ أي هكذا أمر الله عظيم ، لا يعجزه شيء ، ولا يتعاضمه أمر ؛ ﴿ قال رب اجعل لي آية ﴾ أي علامة استدلل بها على وجود الولد مني ﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ﴾ أي إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوي صحيح ، كما في قوله : ﴿ ثلاث ليال سوياء ﴾ ثم أمر بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح في هذه الحال ، فقال تعالى : ﴿ واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار ﴾ . وسبأ طرف آخر في بسط هذا المقام في أول سورة مريم ، إن شاء الله تعالى .

وَذَاتَ الْمَلَكِ يَمْرِيْمَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ

عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ يَمْرِيْمُ اقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿١١٧﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ

إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَمَهِمْ أَنَّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيْمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١١٨﴾

هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك ، أن الله قد اصطفاها أي اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس ، واصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالته على نساء العالمين . قال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ قال : كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ « خير نساء ركين الإبل نساء قريش ، أحناء على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده ، ولم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط » ولم يخرج من هذا الوجه سوى مسلم ، فإنه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد ، كلاهما عن عبد الرزاق به . وقال هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « خير نساها مريم بنت عمران ، وخير نساها خديجة بنت خويلد » أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام به مثله . وقال الترمذي : حدثنا أبو بكر بن زنجويه ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال « حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون » تفرد به الترمذي وصححه . وقال عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، عن أبيه ، قال : كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال « خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ »

رواه ابن مردويه أيضاً . ومن طريق شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ «كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» . وقال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا آدم العسقلاني ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمرو بن مرة ، سمعت مرة الهمداني ، يحدث عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ «كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون» وقد أخرجه الجماعة إلا أبا داود من طرق عن شعبة به . ولفظ البخاري «ويكمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة عن النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» وقد استقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه في قصة عيسى ابن مريم عليه السلام في كتابنا البداية والنهاية ، والله الحمد والمنة . ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب في العمل ، لما يريد الله بها من الأمر الذي قدره الله وقضاه بما فيه محنة لها ، ورفعة في الدارين بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة ، حيث خلق منها ولداً من غير أب ، فقال تعالى : ﴿ يا مريم اقنتي لربك ، واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ أما القنوت فهو الطاعة في خشوع ، كما قال تعالى : ﴿ وله من في السموات والأرض كل له قانتون ﴾ . وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ ، قال «كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة» . ورواه ابن جرير من طريق ابن لهيعة عن دراج به ، وفيه نكارة . وقال مجاهد : كانت مريم عليها السلام تقدم حتى تتورم كعباها ، والقنوت هو طول الركوع في الصلاة ، يعني امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ يا مريم اقنتي لربك ﴾ قال الحسن : يعني اعبدني لربك ، ﴿ واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ أي كوني منهم وقال الأوزاعي : ركعت في محرابها راکعة وساجدة وقائمة ، حتى نزل ماء الأصفر في قدميها رضي الله عنها وأرضاها . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمتها من طريق محمد بن محمد بن يونس الكندي ، وفيه مقال : ثنا علي بن بحر بن بري ، ثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، في قوله ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي ﴾ قال : سجدت حتى نزل الماء الأصفر في عينيها . وذكر ابن أبي الدنيا : ثنا الحسن بن عبد العزيز ، ثنا ضمرة عن أبي شاذب ، قال : كانت مريم عليها السلام ، تغتسل في كل ليلة . ثم قال لرسوله بعد ما أطلعه على جلية الأمر ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ﴾ أي نقصه عليك ﴿ وما كنت لديهم ﴾ أي ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عن معانية عما جرى بل أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفلها ، وذلك لرغبتهم في الأجر . قال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة ، أنه أخبره عن عكرمة ، وأبي بكر عن عكرمة ، قال : ثم خرجت بها ، يعني مريم ، في خرقها إلى بني الكاهن بن هارون أخي موسى عليها السلام ، قال : وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة ، فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة ، فإني حررتها ، وهي أنثى ، ولا يدخل الكنيسة حائض ، وأنا لا أردّها إلى بيتي ، فقالوا : هذه ابنة إمامنا ، وكان عمران يؤمهم في الصلاة ، وصاحب قرباننا ؛ فقال زكريا : ادفعوها لي فإن خالتي نحتي ، فقالوا : لا تطيب أنفسنا ، هي ابنة إمامنا ، فذلك حين اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة ، ففرعهم زكريا فكفلها وقد ذكر عكرمة أيضاً والسدي وقتادة والربيع بن أنس وغير واحد ، ففرعهم زكريا فكفلها وقد ذكر عكرمة أيضاً والسدي وقتادة والربيع بن أنس وغير واحد ، دخل حديث بعضهم في بعض ، إنهم ذهبوا إلى نهر الأردن ، واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم ، فأبهم يثبت في جرية الماء ، فهو كافلها ، فآلقوا أقلامهم ، فاحتملها الماء إلا قلم زكريا ، فإنه ثبت ، ويقال : إنه ذهب صاعداً يشق جرية الماء ، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبيهم ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين .

إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٦﴾

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٧﴾

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير . قال الله تعالى : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يشرك بكلمة منه ﴾ أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله ، أي يقول له : كن فيكون ، وهذا تفسير

قوله : ﴿ مصداقاً بكلمة من الله ﴾ كما ذكر الجمهور على ما سبق بيانه ﴿ اسمه المسيح عيسى بن مريم ﴾ أي يكون هذا مشهوراً في الدنيا ، يعرفه المؤمنون بذلك وسمي المسيح ؛ قال بعض السلف : لكثرة سياحته . وقيل : لأنه كان مسيح القدمين ، لا أخص لها ، وقيل : لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برىء ، بإذن الله تعالى . وقوله : ﴿ عيسى ابن مريم ﴾ نسبة إلى أمه حيث لا أب له . ﴿ وجهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ أي له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحى الله إليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه الله به ؛ وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه ، فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولي العزم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وقوله : ﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلاً ﴾ أي يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره ، معجزة وآية ، وفي حال كهولته حين يوحى الله إليه ﴿ ومن الصالحين ﴾ أي في قوله وعمله ، له علم صحيح وعمل صالح . قال محمد بن إسحاق : عن يزيد بن عبد بن قسيط ، عن محمد بن شرحبيل ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ ما تكلم أحد في صغره إلا عيسى وصاحب جريج ﴾ وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة ، حدثنا الحسين يعني المروزي ، حدثنا جريير يعني ابن أبي جازم ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال ﴿ لم يتكلم في المهد إلا ثلاث : عيسى ، وصبي كان في زمن جريج ، وصبي آخره فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن الله عز وجل ، قالت في مناجاتها ﴿ رب أن يكون لي ولد ولم يمسن بشراً ﴾ ؟ تقول كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ، ولا من عزمي أن أتزوج ، ولست بغيا حاشا لله ؟ فقال لها الملك عن الله عز وجل في جواب ذلك السؤال ﴿ كذلك الله يخلق من يشاء ﴾ أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ، وصرح ههنا بقوله : ﴿ يخلق ما يشاء ﴾ ولم يقل : يفعل ، كما في قصة زكريا ، بل نص ههنا على أنه يخلق لئلا يبقى لبطل شبهة ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ أي فلا يتأخر شيئاً بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة كقوله : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ أي إنما تأمر مرة واحدة لا متتالية فيها فيكون ذلك الشيء سريعاً كلمح البصر .

وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٨﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُم مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِى الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَكُونُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَىٰ مِّنَ التَّوْرَةِ وَلَاحِزًا لَّكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٢٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٢١﴾

يقول تعالى مخبراً عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى عليه السلام : إن الله يعلمه الكتاب والحكمة ، الظاهر ان المراد بالكتاب ههنا الكتابة ، والحكمة تقدم تفسيرها في سورة البقرة ، والتوراة والإنجيل ، فالتوراة هو الكتاب الذي أنزل على موسى بن عمران ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى بن مريم عليهما السلام . وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا ؛ وقوله : ﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل ﴾ قائلهم ﴿ أني قد جئتكم بآية من ربكم ، إنني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ﴾ وكذلك كان يفعل ، يصور من الطين شكل طير ، ثم ينفخ فيه فيطير عياناً بإذن الله عز وجل ، الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله ﴿ وأبرىء الأكمة ﴾ قيل : أنه الذي يبصر نهراً ولا يبصر ليلاً ، وقيل : بالعكس . وقيل : الأعشى . وقيل : الأعمش . وقيل : هو الذي يولد أعمى وهو أشبه ، لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي ﴿ والأبرص ﴾ معروف ، ﴿ وأحيى الموتى بإذن الله ﴾ قال كثير من العلماء : بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة ، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام ، وصاروا من عباد الله الأبرار . وأما عيسى عليه السلام ، فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجهاد ، أو على مداواة الأكمة والأبرص ، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد . وكذلك محمد ﷺ ، بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء ، فأتاهم بكتاب من الله عز

وجل ، فلو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله ، لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وما ذاك إلا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبداً ، وقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن ، وما هو مدخر له في بيته لغد ، ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ ﴾ أي على صدقي فيما جتكم به ﴿ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴿ أَيْ مَقْرَأَ لَهَا وَمُثْبِتاً ﴾ ولأجل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴿ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَسَخَ بَعْضَ شَرِيعَةِ التَّوْرَةِ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ مِنَ الْقَوْلَيْنِ ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ : لَمْ يَنْسَخْ مِنْهَا شَيْئاً ، وَإِنَّمَا أَحْلَى لَهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا يَنْتَازِعُونَ فِيهِ خَطَأً ، وَانْكَشَفَ لَهُمُ عَنِ الْغَطَاءِ فِي ذَلِكَ ، كَمَا قَالَ فِي آيَةِ الْآخِرَى ﴾ ولأين لكم بعض الذي تختلفون فيه ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ﴾ . ثم قال ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي بحجة ودلالة على صدقي فيما أقوله لكم ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ، إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ أي أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه ﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ٥٦ ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ٥٧ ﴿ وَمَكْرُوهٌ وَمَكْرَءٌ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمُنْكَرِينَ ﴾ ٥٨

يقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى ﴾ أي استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال ، ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ قال مجاهد : أي من يتبعني إلى الله . وقال سفيان الثوري وغيره : أي من أنصاري مع الله ، وقول مجاهد : أقرب . والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله كما كان النبي ﷺ يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر ومن رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي . فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي ، حتى وجد الأنصار ، فأووه ونصروه وهاجر إليهم ، فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر ، رضي الله عنهم وأرضاهم . وهكذا عيسى بن مريم عليه السلام انتدب له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به ووازره ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، ولهذا قال تعالى غفر عنهم ﴿ قَالَ الْخَوَارِثُ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنُوا بِاللَّهِ ءَاشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعتنا الرسول فاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿ الْخَوَارِثُ قِيلَ : كَانُوا قِصَارِينَ ، وَقِيلَ : سَمُوا بِذَلِكَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ ، وَقِيلَ : صَيَادِينَ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْخَوَارِثَ النَّاصِرَ ؛ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَدَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ ؛ فَانْتَدَبَ الزَّبِيرَ ثُمَّ نَدَبَهُمْ ، فَانْتَدَبَ الزَّبِيرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ ، وَحَوَارِيُّ الزَّبِيرِ ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجَعِيُّ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ سَهْلٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ قَالَ : مَعَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى غَفِرَ عَنْ مَلَائِكَةِ إِسْرَائِيلَ ، فِيمَا هُمَا بِهِ مِنَ الْفِتَنِ بَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِرَادَتِهِ بِالسَّوْءِ وَالصَّلْبِ حِينَ تَمَالَوْا عَلَيْهِ ، وَوَشَوْا بِهِ إِلَى مَلِكٍ ذَلِكَ الزَّمَانُ ، وَكَانَ كَافِرًا ، أَنَّ هُنَا رَجُلًا يَضِلُّ النَّاسَ وَيُضِلُّهُمْ عَنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ وَيُفْسِدُ الرِّعَايَا ، يَفْرُقُ بَيْنَ الْأَبِ وَابْنِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَقْلُدُوهُ فِي رِقَابِهِمْ وَرَمَوْهُ مِنْ الْكَذِبِ ، وَأَنَّهُ وَلَدَ زَنِيَةً حَتَّى اسْتَارُوا غَضَبَ الْمَلِكِ ، فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ مِنْ يَأْخُذُهُ وَيُصْلِبُهُ وَيُنْكِلُ بِهِ ، فَلَمَّا أَحَاطُوا بِمَنْزِلِهِ وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ ظَفَرُوا بِهِ ، نَجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَيْنِهِمْ وَرَفَعَهُ مِنْ رُوزَنَةِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَالْقَى اللَّهُ شَبِيهَهُ عَلَى رَجُلٍ عَنْ كَانَ عِنْدَهُ فِي الْمَنْزِلِ ، فَلَمَّا دَخَلَ أُولَئِكَ اعْتَقَدُوهُ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ عِيسَى ، فَأَخَذُوهُ وَأَهَانُوهُ وَصَلَبُوهُ ، وَوَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ الشُّوكَ ، وَكَانَ هَذَا مِنْ مَكْرِ اللَّهِ بِهِمْ ، فَإِنَّهُ نَجَّى نَبِيَّهُ وَرَفَعَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ يَعْمَهُونَ ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ قَدْ ظَفَرُوا بِطَلَبَتِهِمْ ، وَأَسْكَنَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ قَسْوَةً وَعِنَادًا لِلْحَقِّ مُلَازِمًا لَهُمْ ، وَأَوْرَثَهُمْ ذُلًّا لَا تَفَارِقُهُمْ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَكْرُوهٌ وَمَكْرَءٌ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ إِلَى مِطْحَنِكَ إِلَى مِطْحَنِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٥٩ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ٦٠ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٦١ ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ٦٢ ﴾

اختلف المفسرون في قوله تعالى : ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ فقال قتادة وغيره : هذا من المقدم والمؤخر ، تقديره : إني رافعك إلي ومتوفيك ، يعني بعد ذلك . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : إني متوفيك ، أي بميتك . وقال محمد بن إسحاق عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه ، قال ابن إسحاق : والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ، ثم أحياه . قال إسحاق بن بشر ، عن إدريس ، عن وهب : أماته الله ثلاثة أيام ، ثم بعثه ، ثم رفعه . قال مطر الوراق : إني متوفيك من الدنيا ، وليس بوفاة موت ؛ وكذا قال ابن جرير : توفيه هو رفعه ؛ وقال الأكثرون : المراد بالوفاة ههنا - النوم ، كما قال تعالى : ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ الآية ؛ وكان رسول الله ﷺ ، يقول إذا قام من النوم : والحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتناه الحديث ؛ وقال تعالى : ﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ - إلى قوله - وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً * والضمير في قوله قبل موته عائذ على عيسى عليه السلام ، أي وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى ، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سيأتي بيانه ، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم ، لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن الحسن أنه قال في قوله تعالى : ﴿إني متوفيك﴾ يعني وفاة المنام ، رفعه الله في منامه . قال الحسن : قال رسول الله ﷺ لليهود وإن عيسى لم يمت ، وأنه راجع إليكم قبل يوم القيامة وقوله تعالى : ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ أي برفعي إياك إلى السماء * وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة * وهذا وقع فإن المسيح عليه السلام ، لما رفعه الله إلى السماء ، تفرقت أصحابه شيعاً بعده ، فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته ، ومنهم من غلب فيه فجعله ابن الله ؛ وآخرون قالوا : هو الله ؛ وآخرون قالوا : هو ثالث ثلاثة . وقد حكى الله مقاتلهم في القرآن ورد على كل فريق ، فاستمروا على ذلك قريباً من ثلاثمائة سنة ، ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين ، فدخل في دين النصرانية ، قيل : حيلة ليفسده ، فإنه كان فيلسوفاً ، وقيل : جهلاً منه إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه ، وزاد فيه ونقص منه ، ووضعت له القوانين ، والأمانة الكبرى التي هي الخيانة الحقة ، وأحل في زمانه لحم الخنزير ، وصلوا له إلى المشرق ، وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع ، وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيها يزعمون ، وصار دين المسيح دين قسطنطين إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثني عشر ألف معبد ، وبنى المدينة المنسوبة إليه ، واتبعه طائفة الملكية منهم ، وهم في هذا كله قاهرون لليهود ، أيده الله عليهم ، لأنه أقرب إلى الحق منهم ، وإن كان الجميع كفاراً عليهم لعائن الله ، فلما بعث الله محمداً ﷺ ، فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق ، فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض ، إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي العربي ، خاتم الرسل وسيد ولد آدم على الإطلاق ، الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق ، فكانوا أولى بكل نبي من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته ، بما قد حرفوا وبدلوا ، ثم لو لم يكن شيء من ذلك ، لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمداً ﷺ من الدين الحق الذي لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة ، ولا يزال قائماً منصوراً ظاهراً على كل دين ؛ فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها ، واحتازوا جميع الممالك ، ودانت لهم جميع الدول ، وكسروا كسرى ، وقصروا قيصر وسلبوها كنوزهما ، وأنفقت في سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل في قوله : ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ الآية ؛ فلهذا لما كانوا هم المؤمنون بالمسيح حقاً ، سلبوا النصارى بلاد الشام والجزء من الروم فلجأوا إلى مدينتهم القسطنطينية ، ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة . وقد أخبر الصادق الصدوق ﷺ أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية ويستفيثون ما فيها من الأموال ، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جداً ، لم ير الناس مثلاً ولا يرون بعدها نظيرها ، وقد جمعت في هذا الجزء مفرداً ، ولهذا قال تعالى : ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأنحكم بينكم فيها كنتم فيه تختلفون﴾ * فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين * وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلب فيه أو أطراه من النصارى ، عذبهم في الدنيا بالقتل والسي ، وأخذ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك ، وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق * وما لهم من الله من واق * * وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفى لهم أجورهم * أي في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بالنصر والظفر ، وفي الآخرة بالجنان العالية * والله لا يحب الظالمين * .

ثم قال تعالى : ﴿ ذلك نتلوهُ عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴾ أي هذا الذي قصصنا عليك يا محمد في أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره ، وهو ما قاله تعالى وأوحاه إليك ونزله عليك من اللوح المحفوظ ، فلا مزية فيه ولا شك ، كما قال تعالى في سورة مريم ﴿ ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴾ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما قال يقول له كن فيكون ﴿ وههنا قال تعالى :

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ

لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ

أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

يقول جل وعلا : ﴿ إن مثل عيسى عند الله ﴾ في قدرة الله حيث خلقه من غير أب ﴿ كمثل آدم ﴾ حيث خلقه من غير أب ولا أم بل ﴿ خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ فالذي خلق آدم من غير أب ، قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأخرى ، وإن جاز ادعاء البتة في عيسى لكونه مخلوقاً من غير أب ، فجاوز ذلك في آدم بالطريق الأولى ، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل ، فدعواه في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً ، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلق حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى ، ولهذا قال تعالى في سورة مريم ﴿ ولنجعله آية للناس ﴾ وقال فهنا : ﴿ الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾ أي هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا يحيد عنه ولا صحيح سواه ، وماذا بعد الحق إلا الضلال . ثم قال تعالى أمراً رسوله ﷺ ، أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان ﴿ فمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ أي نحضرهم في حال المباهلة ﴿ ثم نبتهل ﴾ أي نلتعن ﴿ فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ أي منا ومنكم .

وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران ، أن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من البتة والإلهية ، فانزل الله صدر هذه السورة رداً عليهم ؛ وقدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون ركباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم يؤول أمرهم إليهم وهم : العاقب واسمه عبد المسيح ، والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ، وأويس بن الحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد وابناه ، وخويلد ، وعمر ، وخالد ، وعبد الله ، ومحسن ، وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب ، وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدر عن إلا عن رأيهم ؛ والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلتهم ومجتمعهم ؛ وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وصاحب مدارسهم ، وكان رجلاً من العرب من بني بكر بن وائل ، ولكنه تنصر فعظمته الروم وملوكها وشرفوه ، وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمونه من صلاته في دينهم ، وقد كان يعرف أمر رسول الله ﷺ وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة ، ولكن حمله ذلك على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمة فيها وجاهه عند أهلها . قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قدموا على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الخبرات جيب وأردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب ، قال : يقول من رأيهم من أصحاب النبي ﷺ : ما رأينا بعدهم وقد أمثلهم : وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ «دعوه» فوصلوا إلى المشرق ، قال : فكلّم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن قوهم علواً كبيراً . وكذلك النصرانية ، فهم يحتجون في قوهم هو الله ، بأنه كان يحيي الموتى ويرى الأكمه والأبرص والأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً ، وذلك كله بأمر الله . وليجعله آية للناس ، ويحتجون في قوهم بأنه ابن الله يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله ، ويحتجون على قوهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى : فعلنا وأمرنا وخلقنا

وقضينا فيقولون لو كان واحداً ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومريم - تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً - وفي كل ذلك من قولهم : قد نزل القرآن ، فلما كلمه الخبران ، قال لهما رسول الله ﷺ «أسلما» قالا : قد أسلمنا ، قال : «إنكما لم تسلما فأسلما» . قالا : بلى قد أسلمنا قبلك . قال : «كذبتما بمنعكما من الإسلام ادعواكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير» . قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله ﷺ عنها فلم يجبهما ، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثلاثين آية منها ، ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها إلى أن قال : فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيها دعوتنا إليه ، ثم انصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم فقالوا : يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً نبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبيا قط ، فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم أبيتم إلا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم ؛ فأتوا النبي ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعت معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلافنا فيها في أموالنا ، فإنكم عندنا رضا ، قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله ﷺ «أتوتني العشيبة أبعت معكم القوي الأمين» فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى الظهر مهجراً ، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر ، سلم ثم نظر عن يمينه وشماله ، فجعلت أظفاله له ليراني فلم يزل يلتصم ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه ، فقال «أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه» . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة رضي الله عنه . وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رافع بن خديج : أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال في الأشراف : كانوا اثني عشر ، وذكر بقيته بأصول من هذا السياق ؛ وزادات آخر .

وقال البخاري : حدثنا عباس بن الحسين ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة رضي الله عنه ، قال : جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنا ، قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبتنا من بعدنا ، قالا : إنا نعطيك ما سألنا وأبعت معنا رجلاً أميناً ولا تبعت معنا إلا أميناً ، فقال «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حتى أمين» ، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال «قم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام ، قال رسول الله ﷺ «وهذا أمين هذه الأمة» ؛ رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن صلة ، عن ابن مسعود بنحوه ، وقال البخاري : حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن خالد ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، عن رسول الله ﷺ ، قال «لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي أبو يزيد ، حدثنا قرة عن عبد الكريم بن مالك الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال أبو جهل قبحه الله ، إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأتبه حتى أطأ على رقبته ، قال : فقال «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مალأ ولا أهلاً» ؛ وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم به ؛ وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد روى البيهقي في دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جداً ، ولنذكره فإن فيه فوائد كثيرة ، وفيه غرابة ، فيه ، مناسبة لهذا المقام ، قال البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ أبو سعيد ، ومحمد بن موسى بن الفضل ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن سلمة بن عبد يسوع ، عن أبيه ، عن جده ، قال يونس - وكان نصرانياً فأسلم - : إن رسول الله ﷺ ، كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان وباسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران أسلم ، فإنني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب . أما بعد فإنني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب ، والسلام . فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به ، وذعره ذعراً شديداً ، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة ، وكان من همدان ، ولم يكن أحد يدعي إذا نزلت معضلة قبله لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب ، فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه ، فقال

الأسقف : يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة ، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ، ليس لي في أمر النبوة رأي ، ولو كان في أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيي واجتهدت لك ؛ فقال الأسقف : تنح فاجلس ، فتتحى شرحبيل فجلس ناحية ، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل ، وهو من ذوي أصبح من حمير ، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال له مثل قول شرحبيل ، فقال له الأسقف : تنح فاجلس ، فتتحى عبد الله فجلس ناحية ، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار ابن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماص ، فأقرأه الكتاب ، وسأله عن الرأي فيه ؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله ، فأمره الأسقف ، فتتحى فجلس ناحية ، فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً ، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ، ورفعت النيران والمسوح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع ، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح ، أهل الوادي أعلاه وأسفله . وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، وسألهم عن الرأي فيه ، فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجبار بن فيض الحارثي ، فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ ، فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ، ولبسوا جلالهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب ، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه ، فلم يرد عليهم ، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً ، فلم يكلمهم وعليهم تلك الخلل وخواتيم الذهب ، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وكانا معرفة لهم ، فوجدوها في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس ، فقالوا : يا عثمان وبأ عبد الرحمن ، إن نبيكم كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيئين له ، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا ، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً ، فأعيننا أن يكلمنا ، فما الرأي منكيا ، أترون أن نرجع ؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم : ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن : أرى أن يضموا حللهم هذه وخواتيمهم ، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون إليه ، ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم ، ثم قال والذي بعثني بالحق ، لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم . ثم سألهم وسألوه ، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول في عيسى ، فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى ، يسرنا إن كنت نبياً أن نسمع ما تقول فيه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ما عندي فيه شيء يومي هذا ، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى » فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية ﴿ إِنْ مَثَلْ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ - إِلَى قَوْلِهِ - الْكَافِرِينَ ﴾ فأبوا أن يقرؤا بذلك ، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر ، أقبل مشتتلاً على الحسن والحسين في خيل له ، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعة ، وله يومئذ عدة نسوة ؛ فقال شرحبيل لصاحبه : لقد علمت أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي ، وإني والله أرى أمراً ثقيلاً ، والله لئن كان هذا الرجل مبعوثاً فكنا أول العرب طعناً في عينيه ورداً عليه أمره ، لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبنا بجائحة ، وإننا لأدنى العرب منهم جواراً ، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فلاعناه ، لا يبقى منا على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقال له صاحبه : فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقال : أرى أن أحكمه ، فإنني أرى رجلاً لا يحكم شططا أبداً ، فقال له : أنت وذلك ، قال : حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح ، فمهما حكمت فينا فهو جائز ؛ فقال رسول الله ﷺ : « لعل وراءك أحداً يثرب عليك ؟ » فقال شرحبيل : سل صاحبي ؛ فسألها فقالا : ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأيي شرحبيل . فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعهم حتى إذا كان من الغد أتوه ، فكتب لهم هذا الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي محمد رسول الله ﷺ لنجران - إن كان عليهم حكمه - في كل شجرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم ، وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة ، في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة » وذكر تمام الشروط وبقيّة السياق .

والغرض أن وفودهم كان في سنة تسع ، لأن الزهري قال : كان أهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله ﷺ ، وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح ، وهي قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ الآية ؛ وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن داود المكي ، حدثنا بشر بن مهران ، حدثنا محمد بن دينار ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن جابر ، قال : قدم على النبي ﷺ العاقب والطيب ، فدعاهما إلى الملاعة فواعدها على أن يلاعنه الغداة ، قال : فغدا رسول الله ﷺ ، فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ، ثم أرسل إليهما ، فأبيا أن يجييا وأقرا له بالخراج ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « والذي بعثني بالحق لو قالوا : لا ، لامطر عليهم الوادي ناراً » قال جابر ؛ وفيهم نزلت ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ قال جابر ﴿ أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ رسول

الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ﴿ وأبناؤنا ﴾ الحسن والحسين ﴿ ونساءنا ﴾ فاطمة . وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن علي بن عيسى ، عن أحمد بن محمد الأزهرى ، عن علي بن حجر ، عن علي بن مسهر ، عن داود بن أبي هند به بمعناه ، ثم قال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه هكذا . قال وقد رواه أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي مرسلًا ، وهذا أصح ؛ وقد روي عن ابن عباس والبراء نحو ذلك ، ثم قال الله تعالى : ﴿ إن هذا هو القصص الحق ﴾ أي هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا معدل عنه ولا عيب ﴿ وما من إله إلا الله ، وإن الله هو العزيز الحكيم ﴾ فإن تولوا ﴿ أي عن هذا إلى غيره ﴾ فإن الله عليم بالمفسدين ﴿ أي من عدل عن الحق إلى الباطل فهو المفسد والله عليم به ، وسيجزيه على ذلك شر الجزاء وهو القادر الذي لا يفوته شيء سبحانه وبحمده ونعوذ به من حلول نقمته .

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦١﴾

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم . ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة ﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة ، كما قال ههنا ، ثم وصفها بقوله : ﴿ سواء بيننا وبينكم ﴾ أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسرها بقوله : ﴿ أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ﴾ لا وثناً ولا صليبا ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له ، وهذه عدوة جميع الرسل ، قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ ؛ وقال ابن جريج : يعني يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله . وقال عكرمة : يسجد بعضنا لبعض ﴿ فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ أي فإن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة ؛ فاشهدوا أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم . وقد ذكرنا في شرح البخاري عند روايته من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، عن أبي سفيان في قصته حين دخل على قيصر ، فسأله عن نسب رسول الله ﷺ ، وعن صفته ونعته وما يدعو إليه ، فأخبره بجميع ذلك على الجلية ، مع أن أبا سفيان إذ ذاك كان مشركاً ، لم يسلم إلا بعد ، وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقبل الفتح ، كما هو مصرح به في الحديث ؛ ولأنه لما سأله : هل يغدر ؟ قال : فقلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها ، قال : ولم يمكني كلمة أزيد فيها شيئاً سوى هذه ؛ والغرض أنه قال : ثم جيء بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتلك الله أجره مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثلاثين آية منها ، نزلت في وفد نجران . وقال الزهري : هم أول من بذل الجزية ، ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح ، فما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل في جملة الكتاب ، وبين ما ذكره محمد بن إسحاق والزهري ؟ والجواب من وجوه [أحدها] يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين ، مرة قبل الحديبية ، ومرة بعد الفتح . [الثاني] يحتمل أن صدر سورة آل عمران ، نزل في وفد نجران إلى هذه الآية ، وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك ، ويكون قول ابن إسحاق : إلى بضع وثلاثين آية ، ليس بمحفوظ للدلالة حديث أبي سفيان . [الثالث] يحتمل أن قدوم وفد نجران ، كان قبل الحديبية ، وأن الذي بذلوه مصالحة عن المباهلة لا على وجه الجزية ، بل يكون من باب المهادنة والمصالحة ، ووافق نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك ، كما جاء فرض الخمس والأربعة أخماس وفق ما فعله عبد الله بن جحش في تلك السرية قبل بدر ، ثم نزلت فريضة القسم على وفق ذلك . [الرابع] يحتمل أن رسول الله ﷺ ، لما أمر بكتب هذا في كتابه إلى هرقل ، لم يكن أنزل بعد ، ثم أنزل القرآن موافقة له ﷺ ، كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب في الحجاب وفي الأسارى ، وفي عدم الصلاة على المنافقين ؛ وفي قوله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ وفي قوله : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ﴾ الآية .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾ هَكَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ ۖ عَلِمَ فَلَمْ تُحَاجُّوْا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام ، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم ؛ كما قال محمد بن إسحاق بن يسار : حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنه ؛ قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا عنده ، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهودياً ، وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانياً ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية ؛ أي كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهودياً ، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى ؟ وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانياً وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر ؟ ولهذا قال تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُّوْا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ الآية . هذا إنكار على من يحاج في ما لا علم له به ، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم ، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ ، لكان أولى بهم ؛ وإنما تكلموا فيما لا يعلمون ، فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها وجليلاتها ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ أي متحنفاً عن الشرك قاصداً إلى الإيمان ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وهذه الآية كالتى تقدمت في سورة البقرة ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ الآية . ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يقول تعالى : أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه وهذا النبي ، يعني محمداً ﷺ ، والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بعدهم . قال سعيد بن منصور : حدثنا أبو الأحوص ، عن سعيد بن مسروق ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « لكل نبي ولاية من النبيين ، وإن وليي منهم أبي و خليل ربي عز وجل » ثم قرأ ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ الآية ؛ وقد رواه الترمذي والبخاري من حديث أبي أحمد الزبيري ، عن سفيان الثوري ، عن أبيه به ، ثم قال البخاري : « رواه غير أبي أحمد ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن عبد الله ، ولم يذكر مسروقاً . وكذا رواه الترمذي من طريق وكيع عن سفيان ، ثم قال : وهذا أصح ؛ لكن رواه وكيع في تفسيره ، فقال : حدثنا سفيان عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ « إن لكل نبي ولاية من النبيين ، وإن وليي منهم أبي و خليل ربي عز وجل إبراهيم عليه السلام » ثم قرأ ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية ؛ وقوله ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي ولي جميع المؤمنين يرسله .

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَو يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَسْعُرُونَ ﴿٧٣﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ ﴿٧٤﴾ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٥﴾ وَأَنْتُمْ تَقْلُمُونَ ﴿٧٦﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ۖ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا عَآخِرُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكَ قُلُوبُ الْهَدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ أَن يُؤْفِكَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمُ ﴿٧٨﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٩﴾

ينحبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين ، وبغيتهم إياهم الإضلال ، وأخبر أن وبال ذلك إغما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون أنهم محمور بهم ، ثم قال تعالى منكرًا عليهم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تعلمون صدقها وتحققون حقها ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تكتُمون ما في كتبكم من صفة محمد ﷺ وأنتم تعرفون ذلك وتحققونه ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ﴾ الآية ؛ هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم ، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح ؛ فإذا جاء النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجبهة من الناس : إغما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين ؛ ولهذا قالوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ . وقال ابن أبي نجيح : عن مجاهد في قوله تعالى إخباراً عن اليهود بهذه الآية ؛ يعني يهوداً صلت مع النبي ﷺ صلاة الصبح ، وكفروا آخر النهار مكرًا منهم ، ليرى الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه . وقال العوفي عن ابن عباس : قالت طائفة من أهل الكتاب : إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا ، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا ؛ وهكذا روي عن قتادة والسدي والربيع وأبي مالك . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي لا تطمئنوا أو تظهروا سرهم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم ، ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ أِهْدَى اللَّهُ هَدًى لِمَنْ هُوَ الْهَدَىٰ يَهْدِي اللَّهُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ آثِمِ الْإِيمَانِ بِمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ ، وَالْدَّلَائِلِ الْقَاطِعَاتِ ، وَالْحُجُجِ الْوَاضِحَاتِ ؛ وَإِنْ كَتَمْتُمْ أَيَا الْيَهُودِ مَا بِأَيْدِيكُمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ فِي كِتَابِكُمْ الَّتِي نَقَلْتُمُوهَا عَنْ الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ . وَقَوْلُهُ ﴿أَنْ يَوْزُ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ يقولون : لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين ، فيتعلموه منكم ، ويساوونكم فيه ويمتازون به عليكم لشدة الإيمان به ، أو يحاجوكم به عند ربكم ، أي يتخذوه حجة عليكم بما في أيديكم ، فتقوم به عليكم الدلالة ، وترتكب الحجة في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُبَدِّلُوا الْفِتْنَةَ بِدِينِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي الأمور كلها تحت تصرفه ، وهو المعطي المانع ، بمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصرف التام ، ويضل من يشاء فيعمي بصره وبصيرته ، ويختم على قلبه وسمعه ، ويجعل على بصره غشاوة ، وله الحجة التامة والحكمة البالغة ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ أي اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحصى ولا يوصف بما شرف به نبيكم محمد ﷺ على سائر الأنبياء ، وهذاكم به إلى أكمل الشرائع .

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دَمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

﴿٦٥﴾

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

ينحبر تعالى عن اليهود بأن منهم الخونة ويحذر المؤمنون من الاغترار بهم ، فإن منهم ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ﴾ أي من المال ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ أي وما دونه بطريق الأولى أن يؤده إليه ﴿ومِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دَمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ أي بالمطالبة والملازمة والإلحاح في استخلاص حقلك ، وإذا كان هذا صنيعه في الدينار فما فوقه أولى أن لا يؤديه إليه . وقد تقدم الكلام على القنطار في أول السورة ، وأما الدينار فمعروف . وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا سعيد بن عمرو السكوتي ، حدثنا بقية عن زياد بن الهيثم ، حدثنا مالك بن دينار ، قال : إغما سمي الدينار لأنه دين ونار وقيل : معناه من أخذه بحقه فهو دينه ، ومن أخذه بغير حقه فله النار . ومناسب أن يذكر ههنا الحديث الذي علقه البخاري في غير موضع من صحيحه ، ومن أحسنها سياقاً في كتاب الكفالة حيث قال : وقال الليث : حدثني جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل ، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار ، فقال اتني بالشهداء أشهدهم ؛ فقال : كفى بالله شهيداً . قال : اتني بالكفيل . قال : كفى بالله كفيلاً . قال : صدقت ، فدفعها إليه إلى أجل مسمى ، فخرج في البحر ففقد حاجته ثم التمس مركباً يركبها ليقدم عليه في الأجل الذي أجله ، فلم يجد مركباً ، فأخذ خشبة فنقرها ، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ، ثم زجج موضعها ، ثم أتى بها إلى البحر فقال : اللهم إنك تعلم أني استسلفت فلاناً ألف دينار فسالني شهيداً ، فقلت :

كفى بالله شهيداً ؛ وسألني كفيلاً ، فقلت : كفى بالله كفيلاً فرضي بذلك ؛ وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر ، وإني استودعتكها ، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده ، فخرج الرجل الذي كان أسلفه لينظر لعل مركباً يجيئه بماله ، فإذا بالخشب التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطباً ، فلما كسرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه ، فأناه بألف دينار ، وقال : والله ما زلت جاهدأ في طلب مركب لأتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه ، قال : هل كنت بعثت إلي بشيء ؟ قال : ألم أخبرك أني لم أجد مركباً قبل هذا ، قال : فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشب ، فانصرف بألف دينار راشداً ، هكذا رواه البخاري في موضع معلقاً بصيغة الجزم ، وأسند في بعض المواضع من الصحيح عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه . ورواه الإمام أحمد في مسنده هكذا مطولاً ، عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث به ؛ ورواه البزار في مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد ، عن أبي عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، بنحوه ؛ ثم قال : لا يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ، كذا قال وهو خطأ لما تقدم . وقوله «ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل» أي إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون : ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين وهم العرب ؛ فإن الله قد أحلها لنا ؛ قال الله تعالى : «ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون» أي وقد اختلفوا هذه المقالة ، وانتفكوها بهذه الضلالة ، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها وإنما هم قوم بهت . قال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن أبي إسحاق الهمداني ، عن أبي صعصعة بن يزيد ، أن رجلاً سأل ابن عباس ، فقال : إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاء ؛ قال ابن عباس : فتقولون ماذا ؟ قال : نقول ليس علينا بذلك بأس ، قال هذا ، كما قال أهل الكتاب : ليس علينا في الأميين سبيل ، إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا يطيب أنفسهم ، وكذا رواه الثوري عن أبي إسحاق بنحوه . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا أبو الربيع الزهراني ، حدثنا يعقوب ، حدثنا جعفر عن سعيد بن جبير ، قال : لما قال أهل الكتاب : ليس علينا في الأميين سبيل قال نبي الله ﷺ «كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة ، فلنأخذ مؤداة إلى البر والفاجر» ثم قال تعالى : «بلى من أوفى بعهده واتفق» أي لكن من أوفى بعهده واتفق منكم يا أهل الكتاب الذي عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد ﷺ إذا بعث كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وأجمعهم بذلك ، واتفق معارم الله ، واتبع طاعته وشريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيدهم «فإن الله يحب المتقين» .

إِنَّ الَّذِينَ يَشْعُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا

خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى : إن الذين يعتاضون عما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد ﷺ وذكر صفته للناس وبيان أمره ، وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الأثمة بالاثمان القليلة الزهيدة ، وهي عروض هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة «أولئك لا خلاق لهم في الآخرة» أي لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها «ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة» أي برحمة منه لهم ، يعني لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ولا ينظر إليهم بعين الرحمة «ولا يزكِّيهم» أي من الذنوب والأدناس ، بل يأمرهم إلى النار «ولهم عذاب أليم» . وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة ، فلنذكر منها ما تيسر .

[الحديث الأول] - قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا شعبة ، قال علي بن مدرك : أخبرني ، قال : سمعت أبا زرعة عن خرشة بن الحر ، عن أبي ذر ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكِّيهم ، ولهم عذاب أليم» قلت : يا رسول الله ، من هم ؟ خسروا وخابوا . قال : وأعاد رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، قال «المسل ، والمنفق سلعتة بالخلف الكاذب ، والمنان» ؛ ورواه مسلم وأهل السنن من حديث شعبة به .

[طريق أخرى] - قال أحمد : حدثنا إسماعيل عن الجريري ، عن أبي العلاء بن الشخير ، عن أبي الأحس ، قال : لقيت أبا ذر فقلت له : بلغني عنك أنك تحدث حديثاً عن رسول الله ﷺ ، قال : أما إنه لا يخالفني أن أكذب على رسول الله ﷺ ، بعدما سمعته منه ، فما الذي بلغك عني ؟ قلت : بلغني أنك تقول : ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يشنؤهم الله ، قال : قلت : فممن هؤلاء الذين يحبهم الله ؟ قال : «الرجل يلقى العدو في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه ، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يجبروا أن يمسوا الأرض ، فينزلون ، فيتحنى أحدهم يصلي حتى يوقفهم

لرحيلهم ، والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينها موت أو ظنهم قلت : ومن هؤلاء الذين يشنؤهم الله ؟ قال : «التاجر الخلاف - أو قال : البائع الخلاف - ، والفقيه المختال ، والبخيل المنان» غريب من هذا الوجه .

[الحديث الثاني] - قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن جابر بن حازم ، حدثنا عدي بن عدي ، أخبرني رجاء بن حيوة والعري بن عميرة ، عن أبيه عدي هو ابن عميرة الكندي ، قال : خاصم رجل من كتلة ، يقال له امرؤ القيس بن عامر ، رجلاً من حضرموت إلى رسول الله ﷺ في أرض ؛ فقضى على الحضرمي بالبينة ، فلم يكن له بينة فقضى على امرئ القيس باليمين ، فقال الحضرمي : أمكنته من اليمين يا رسول الله ؟ ذهبت ورب الكعبة أرضي ، فقال النبي ﷺ : «من حلف على بين كاذبة ليقطع بها مال أحد لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان» قال رجاء : وتلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فقال امرؤ القيس : ماذا لمن تركها يا رسول الله ؟ فقال «الجنة» قال : فاشهد أني قد تركتها له كلها ، ورواه النسائي من حديث عدي بن عدي به .

[الحديث الثالث] - قال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ «من حلف على بين هو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم ، لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان» فقال الأشعث : في والله كان ذلك ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض ، فجحدني أرضي ، فقدمته إلى رسول الله ﷺ ، فقال لي رسول الله ﷺ «ألك بينة» ؟ قلت : لا . فقال اليهودي أحلف . فقلت : يا رسول الله ، إذا يحلف فيذهب مالي ؛ فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية ؛ أخرجاه من حديث الأعمش .

[طريق أخرى] - قال أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن شقيق بن سلمة ، حدثنا عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ «من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق ، لقي الله وهو عليه غضبان» قال : فجاء الأشعث بن قيس ، فقال : ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ؟ فحدثناه ، فقال : كان في هذا الحديث ، خاصمت ابن عم لي إلى رسول الله ﷺ في بئر كانت لي في يده فجحدني ، فقال رسول الله ﷺ «بيتك أنها بئر» ولا فيمينه . قال : قلت : يا رسول الله ، ما لي بينة ، وإن تجعلها بيمينه تذهب بشري ، إن خصمي امرؤ فاجر ، فقال رسول الله ﷺ «من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق ، لقي الله وهو عليه غضبان» قال : وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية .

[الحديث الرابع] - قال أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان ، قال : حدثنا رشيد بن ، عن زياد ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ ، قال «إن الله تعالى عبداً لا يكلمهم يوم القيامة ، ولا يزيكهم ، ولا ينظر إليهم» قيل : ومن أولئك يا رسول الله ؟ قال «متبرئ من والديه راغب عنها ، ومتبرئ من ولده ، ورجل أنعم عليه قوم ، فكفر نعمتهم وتبرأ منهم» .

[الحديث الخامس] - قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا هشيم ، أنبأنا العوام يعني ابن حوشب ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن يعني السكسكي ، عن عبد الله ابن أبي أوفى ، أن رجلاً أقام سلعة له في السوق ، فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعطه ، ليقع فيها رجلاً من المسلمين ، فنزلت هذه الآية : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية ؛ ورواه البخاري من غير وجه عن العوام .

[الحديث السادس] - قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزيكهم ، ولهم عذاب أليم : رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده ، ورجل حلف على سلعة بعد العصر ، يعني كاذباً ، ورجل بايع إماماً فإن أعطاه وفي له وإن لم يعطه لم يف له» ورواه أبو داود والترمذي من حديث وكيع ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقٌ يَلْعَنُونَ أَلَيْسَ لَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَاهُمْ مِنَ الْكِتَابِ يَقُولُونَ هُوَ

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله ، أن منهم فريقاً يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد به ، ليوهمو الجحيلة أنه في كتاب الله كذلك ، وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله ، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد

كذبوا وافتروا في ذلك كله ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . وقال مجاهد والشعبي والحسن وقتادة والربيع بن أنس . ﴿ يُلَوِّحُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ يحرفونه ، وهكذا روى البخاري عن ابن عباس أنهم يحرفون ويزيلون ، وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ الكتاب من كتب الله ، لكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله ، وقال وهب ابن منبه : إن التوراة والإنجيل كما أنزلها الله تعالى لم يغير منها حرف ، ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ فأما كتب الله ، فإنها محفوظة لا تحول ؛ رواه ابن أبي حاتم ، فإن عني وهب ما بأيديهم من ذلك ، فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص . وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير وزيادات كثيرة ونقصان ووهم فاحش ، وهو من باب تفسير المغرب المعبر وفهم كثير منهم بل أكثرهم بل جميعهم فاسد وأما إن عني كتب الله التي هي كتبه من عنده فذلك كما قال : محفوظة لم يدخلها شيء .

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يُوْتِيَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٣٨﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٩﴾

قال محمد بن إسحاق : حدثنا محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال أبو رافع القرظي : حين اجتمعت الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أوداك تريد منا يا محمد وإليه تدعون ؟ أو كما قال : فقال رسول الله ﷺ : ومعاذ الله أن نعبد غير الله ، أو أن نأمر بعبادة غير الله ، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني ، أو كما قال ﷺ : فأنزل الله في ذلك من قولها : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة ، أن يقول للناس اعبدوني من دون الله ، أي مع الله ، فإذا كان هذا لا يصلح لني ولا لمرسل ، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأخرى ، ولهذا قال الحسن البصري : لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته ، قال : وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضاً ، يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون أحبارهم ورهبانهم ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية . وفي المسند والترمذي كما سيأتي أن عدي بن حاتم قال : يا رسول الله ما عبدوهم . قال : « بل إنهم أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال ، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم » فالجمله من الأخبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين ، فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به ، وبلغتهم إياه رسله الكرام . وإنما ينهون عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام . فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حلّوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة ، فقاموا بذلك أتم القيام ، ونصحوا الخلق ، وبلغوهم الحق ؛ وقوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ أي ولكن يقول الرسول للناس كونوا ربانيين ؛ قال ابن عباس وأبو رزين وغير واحد : أي حكماء علماء حلياء ؛ وقال الحسن وغير واحد : فقهاء ؛ وكذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وعطاء الخراساني وعطية العوفي والربيع بن أنس وعن الحسن أيضاً : يعني أهل عبادة وأهل تقوى . وقال الضحاك في قوله : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ : حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً تعلمين أي تفهمون معناه ، وقرئ تعلمون بالتشديد من التعليم ﴿ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ تحفظون ألفاظه ؛ ثم قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ أي ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله : لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله ، ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر ، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ الآية ؛ وقال ﴿ وَاسْأَلْ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً يَعْبُدُونَ ﴾ وقال إخباراً عن الملائكة ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾

فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾

يغير تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة ، وبلغ أي مبلغ ، ثم جاء رسول من بعده ليؤمن به ولنصرته ، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنوبة من اتباع من بعث بعده ونصرته ، ولهذا قال تعالى وتقدس ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ أي لمهما أعطيتكم من كتاب وحكمة ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ وقال ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وقتادة والسدي : يعني عهدي : وقال محمد بن إسحاق (إصري) أي ثقل ما حملتم من عهدي أي ميثاقي الشديد المؤكد ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي عن هذا العهد والميثاق ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ . قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمن به وينصره ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولنصرته . وقال طائوس والحسن البصري وقتادة : أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً . وهذا لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه ، بل يستلزمه ويقتضيه . ولهذا روى عبد الرزاق عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، مثل قول علي وابن عباس . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إني أمرت بأخ لي يهودي من قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله بن ثابت : قلت له : ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، قال : فسري عن النبي ﷺ ، وقال والذي نفسي بيده ، لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ، ثم اتبعتموه وتركتموني لضللت ، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين .

[حديث آخر] - قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا إسحاق ، حدثنا حماد عن مجالد عن الشعبي ، عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فأنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق ، وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني» . وفي بعض الأحاديث «لو كان موسى وعيسى حينئذ لا وسعهما إلا اتباعي» فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد ، لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إثبات الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده ، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له ، والذي يجحد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه ، فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه .

أَفَعَيِّرْ دِينَ اللَّهِ يَبْعُوثَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ

دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

يقول تعالى منكراً على من أراد ديناً سوى دين الله الذي أنزل به كتبه ، وأرمل به رسله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، الذي له أسلم من في السموات والأرض ، أي استسلم له من فيها طوعاً وكرهاً ؛ كما قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ الآية ؛ وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ * والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم يستكبرون * يخافون

ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿ فالؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها ، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع . وقد ورد حديث في تفسير هذه الآية على معنى آخر فيه غرابة ، فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن النضر العسكري ، حدثنا سعيد بن حفص النفيلي ، حدثنا محمد بن حصن العكاشي ، حدثنا الأوزاعي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن النبي ﷺ ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً . وأما من في السموات فالملائكة ، وأما من في الأرض فممن ولد على الإسلام . وأما كرهاً فممن أتى به من سبائا الأمم في السلاسل والأغلال ، يقادون إلى الجنة وهم كارهون﴾ . وقد ورد في الصحيح «عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل» وسيأتي له شاهد من وجه آخر ، ولكن المعنى الأول للآية أقوى . وقد قال وكيع في تفسيره . حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ قال : هو كقوله : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ وقال أيضاً : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ قال : حين أخذ الميثاق ، ﴿ول إليه يرجعون﴾ أي يوم المعاد فيجازي كلا بعمله . ثم قال تعالى : ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا﴾ يعني القرآن ، ﴿وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب﴾ أي من الصحف والوحي ، ﴿والأسباط﴾ وهم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل - وهو يعقوب - الاثني عشر ، ﴿وما أوتى موسى وعيسى﴾ يعني بذلك التوراة والإنجيل ، ﴿والنبيون من ربهم﴾ وهذا يعم جميع الأنبياء جملة ، ﴿لأنفرق بين أحد منهم﴾ يعني بل نؤمن بجميعهم ، ﴿ونحن له مسلمون﴾ فالؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل ، وبكل كتاب أنزل ، لا يكفرون بشيء من ذلك ، بل هم يصدقون بما أنزل من عند الله ، وبكل نبي بعثه الله . ثم قال تعالى : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ الآية ؛ أي من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله ، فلن يقبل منه ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردة» . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا عباد بن راشد ، حدثنا الحسن ؛ حدثنا أبو هريرة إذا كنا ونحن بالمدينة ، قال : قال رسول الله ﷺ «تحيء الأعمال يوم القيامة ، فتحيء الصلاة فتقول : يا رب ، أنا الصلاة ؛ فيقول إنك على خير ؛ وتحيء الصدقة فتقول : يا رب ، أنا الصدقة ؛ فيقول : إنك على خير ؛ ثم تحيى الأعمال ، كل ذلك يقول الله تعالى : إنك على خير ؛ ثم يحيى الإسلام فيقول : يا رب ، أنت السلام وأنا الإسلام ، فيقول الله تعالى : إنك على خير ، بك اليوم أخذ بك أعطي . قال الله في كتابه ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ تفرد به أحمد . قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد : عباد بن راشد ثقة ، ولكن الحسن لم يسمع من أبي هريرة .

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٠﴾

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البصري ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ، ثم ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا لي رسول الله هل لي من توبة ؟ فنزلت ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾ إلى قوله - فإن الله غفور رحيم ﴿ فأرسل إليه قومه فأسلم ؛ وهكذا رواه النسائي والحاكم وابن حبان من طريق داود بن أبي هند به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد . ولم يخرجاه . وقال عبد الرزاق : أنبأنا جعفر بن سليمان ، حدثنا حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي ﷺ ، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه ؛ فأنزل الله فيه ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾ إلى قوله - غفور رحيم ﴿ قال : فحملها إليه رجل من قومه فقرأ عليه ، فقال الحارث : إنك - والله ما علمت - لصدوق ، وإن رسول الله لأصدق منك ، وإن الله لأصدق الثلاثة ؛ قال : فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه ، فقله تعالى : ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات﴾ أي قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول ، ووضح لهم الأمر ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك ، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعدما تلبسوا به من العباة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ . ثم قال تعالى : ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس

أجمعين أي يلعنهم الله ، ويلعنهم خلقه ، «خالدين فيها» أي في اللعنة ، «ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون» أي لا يفر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ؛ ثم قال تعالى : «إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم» وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه أن من تاب إليه ، تاب عليه .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ

وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ قَوْلٌ إِلَّا لِرِضَىٰ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ

أَفْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى متوعداً ومهدداً لمن كفر بعد إيمانه ، ثم ازداد كفراً ، أي استمر عليه إلى المات ، ومخبراً بأنهم لن تقبل لهم توبة عند المات ، كما قال تعالى : «وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت الآية» ؛ ولهذا قال ههنا «لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون» أي الخارجون عن المنهج الحق إلى طريق الغي ؛ قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيغ ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن قوماً أسلموا ثم ارتدوا ، ثم أسلموا ثم ارتدوا ، فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآية : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ يُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» هكذا رواه ، وإسناده جيد ؛ ثم قال تعالى : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ قَوْلٌ إِلَّا لِرِضَىٰ اللَّهِ» أي من مات على الكفر ، فلن يقبل منه خير أبداً . ولو كان قد أنفق ماله الأرض ذهباً فيها يراه قرية ؛ كما سئل النبي ﷺ عن عبد الله بن جدعان وكان يقري الضيف ويفك العاني ويطعم الطعام : هل ينفعه ذلك ؟ فقال «لا ، إنه لم يقل يوماً من الدهر : ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين» وكذلك لو افتدى بملء الأرض ذهباً ما قبل منه ، كما قال تعالى : «ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة» وقال «لا يبيع فيه ولا خلال» ؛ وقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَلَأُوا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تَقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» ؛ ولهذا قال تعالى ههنا : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ قَوْلٌ إِلَّا لِرِضَىٰ اللَّهِ» فاعطف ولو افتدى به ؛ فمعطوف ولو افتدى به على الأول ، فدل على أنه غيره ، وما ذكرناه أحسن من أن يقال : إن الواو زائدة ، والله أعلم ، ويقضي ذلك أن لا ينقذه من عذاب الله شيء ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهباً ، ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً ، بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها . وقال الإمام أحمد : حدثنا حماد ، حدثني شعبة عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك ، أن النبي ﷺ قال «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء ، أكنت مفتدياً به ؟ قال : فيقول : نعم ، فيقول الله : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً ، فأبيت إلا أن تشرك» وهكذا أخرجه البخاري ومسلم .

[طريق أخرى] - وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا حماد عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالرجل من أهل الجنة ، فيقول له : يا ابن آدم ، كيف وجدت منزلتك ؟ فيقول : أي رب خير منزل ؛ فيقول : سل وغم ؛ فيقول : ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرار ، لما يرى من فضل الشهادة . ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له : يا ابن آدم ، كيف وجدت منزلتك ؟ فيقول : يا رب شر منزل ؛ فيقول له : أتفتدي مني بطلاع الأرض ذهباً ؟ فيقول : أي رب نعم ، فيقول : كذبت ، قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل ، فيرد إلى النار» ؛ ولهذا قال «وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ» أي وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ولا ينجيهم من أليم عقابه .

لَنْ نَسْأَلَكَ الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

روى وكيع في تفسيره عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون «لن تسألك البر» قال : الجنة . وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا مالك ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، سمع أنس بن مالك ، يقول : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً ، وكان أحب أمواله إليه بجرعاء ، وكانت مستقبلية المسجد ، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ؛ قال أنس : فلما نزلت «لن تسألك البر حتى تنفقوا مما تحبون» قال أبو طلحة : يا رسول الله ،

إن الله يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ، وإن أحب أموالي إليّ بئرحاء ، وإنها صدقة لله أرجو بها برّها وذخرها عند الله تعالى ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ؛ فقال النبي ﷺ ، «يضع ذلك مال رايح ، ذلك مال رايح ، وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين» ؛ فقال أبو طلحة : افعل يا رسول الله ، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه . أخرجاه ، وفي الصحيحين أن عمر قال يا رسول الله لم أصب مالا قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بيخير ، فما تأمرني به ؟ قال : «حبس الأصل وسبل الثمرة» . وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي عمرو بن حسان ، عن حمزة بن عبد الله بن عمر ، قال : قال عبد الله . حضرتني هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فذكرت ما أعطاني الله ، فلم أجد شيئا أحب إليّ من جارية لي رومية ، فقلت : هي حرة لوجه الله ، فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها ، يعني تزوجتها .

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ

التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأْتِلُوهَا إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قُلْ أُولَئِكَ

هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١٧﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٨﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر ، قال : قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا : حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمن إلا نبي ؛ قال : «سلوني عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله ، وما أخذ يعقوب على بنيه ، لئن أنا حدثتكم شيئا فمرفتموه لتابعني على الإسلام» قالوا : فذلك لك . قالوا : أخبرنا عن أربع خلال : أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل عن نفسه ؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى ؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ، ومن وليه من الملائكة ؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه ، فقال : أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً ، وطال سقمه ، فنذر الله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه ، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها ؟ فقالوا : اللهم نعم : فقال : «اللهم اشهد عليهم» ؛ وقال : «أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأبيها علا كان له الولد ، والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة ، كان ذكراً بإذن الله ؛ وإن علا ماء المرأة ماء الرجل ، كان أنثى بإذن الله ؟ قالوا : نعم . قال : «اللهم اشهد عليهم» ؛ قال : «وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ، ولا ينام قلبه ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : «اللهم اشهد» ؛ قال : «وان وليي جبريل ، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه» . قالوا : فعند ذلك نفارقك ، ولو كان وليك غيره لتابعناك ؛ فعند ذلك قال الله تعالى : ﴿قل من كان عدواً لجبريل﴾ الآية ؛ ورواه أحمد أيضاً عن حسين بن محمد ، عن عبد الحميد به .

[طريق أخرى] - قال أحمد : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي ، عن بكير بن شهاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ، إنا نسألك عن خمسة أشياء ، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك ، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ . قال «هاتوا» قالوا : أخبرنا عن علامة النبي «قال : تنام عيناه ولا ينام قلبه» . قالوا : أخبرنا كيف تؤنث المرأة ، وكيف تذكر ؟ قال : «يلتقي الماءان ، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة ، أذكرت ، وإذا علا ماء المرأة أنثت» قالوا : أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال : «كان يشتكي عرق النسا ، فلم يجد شيئاً يلائمه إلا البان كذا وكذا» - قال أحمد : قال بعضهم : يعني الإبل - فحرم لحومها» قالوا : صدقت . قالوا : أخبرنا ما هذا الرعد ؟ قال «ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده - أو في يديه - مخراق من نار يزر به السحاب ، يسوقه حيث أمره الله عز وجل» قالوا : فما هذا الصوت الذي يسمع ؟ قال «صوته» . قالوا : صدقت ، إنما بقيت واحدة ، وهي التي نتابعك إن أخبرتنا بها ، إنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر ، فأخبرنا من صاحبك ؟ قال : «جبريل عليه السلام» . قالوا : جبريل ذلك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا ، لو قلت : ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر ، لكان ؛ فانزل الله تعالى : ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ والآية بعدها . وقد رواه الترمذي والنسائي ، من حديث عبد الله بن الوليد العجلي به نحوه ؛ وقال الترمذي : حسن غريب ؛ وقال ابن جريج والعمري عن

ابن عباس : كان إسرائيل عليه السلام - وهو يعقوب - يعتره عرق النسا بالليل ، وكان يقلقه ويزعجه عن النوم ، ويقلقه الوجع عنه بالنهار ، فندرت له عافاه الله لا يأكل عرقاً ولا يأكل ولد ما له عرق ؛ وهكذا قال الضحاك والسدي ، كذا رواه ؛ وحكاه ابن جرير في تفسيره ، قال : فاتبعه بنوه في تحريم ذلك استئناً به واقتداءً بطريقه ، قال : وقوله ﴿من قبل أن تنزل التوراة﴾ أي حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة . ولهذا السياق بعدما تقدم مناسبتان ﴿الحداهما﴾ أن إسرائيل عليه السلام حرم أحب الأشياء إليه وتركها لله ، وكان هذا سائغاً في شريعتهم فله مناسبة بعد قوله ﴿لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما نحبون﴾ فهذا هو المشروع عندنا ، وهو الاتفاق في طاعة الله مما يحبه العبد ويشتهيه ، كما قال تعالى : ﴿وأتى المال على حبه﴾ وقال تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ الآية .

[المناسبة الثانية] - لما تقدم بيان الرد على النصارى ، واعتقادهم الباطل في المسيح ، وتبيين زيف ما ذهبوا إليه وظهور الحق واليقين في عيسى وأمه ، كيف خلقه الله بقدرته ومشيته وبعثه إلى بني إسرائيل يدعو إلى عبادة ربه تبارك وتعالى ، شرع في الرد على اليهود قبحهم الله تعالى ، وبيان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع ؛ فإن الله تعالى قد نص في كتابهم التوراة أن نوحاً عليه السلام لما خرج من السفينة ، أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها ، ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل واللبانها ، فاتبعه بنوه في ذلك ؛ وجاءت التوراة بتحريم ذلك ، وأشياء أخرى زيادة على ذلك ، وكان الله عز وجل قد أذن لآدم في تزويج بناته من بنيه ، وقد حرم ذلك بعد ذلك ، وكان التسري على الزوجة مباحاً في شريعة إبراهيم عليه السلام ، وقد فعله إبراهيم في هاجر لما تسرى بها على سارة ، وقد حرم مثل هذا في التوراة عليهم ، وكذلك كان الجمع بين الأختين سائغاً ، وقد فعله يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين ، ثم حرم عليهم ذلك في التوراة ، وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم ، وهذا هو النسخ بعينه ، فكذلك فليكن ما شرعه الله للمسيح عليه السلام في إحلاله بعض ما حرم في التوراة ، فما بالهم لم يتبعوه بل كذبوه وخالفوه ؟ وكذلك ما بعث الله به عمداً ﷺ من الدين القويم ، والصراط المستقيم ، وملة أبيه إبراهيم ، فما بالهم لا يؤمنون ؟ ولهذا قال تعالى : ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾ أي كان حلاً لهم جميع الأطعمة قبل نزول التوراة إلا ما حرمه إسرائيل ، ثم قال تعالى ﴿قل فاتوا بالتوراة فأتوا فأتوها إن كنتم صادقين﴾ فإنها ناطقة بما قلناه ﴿فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون﴾ أي فمن كذب على الله وادعى أنه شرع لهم السبت والتمسك بالتوراة دائماً ، وأنه لم يبعث نبياً آخر يدعو إلى الله تعالى بالبراهين والحق بعد هذا الذي بيناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرنا ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ ثم قال تعالى : ﴿قل صدق الله﴾ ، أي قل يا محمد صدق الله فيما أخبر به وفيما شرعه في القرآن ، ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ أي اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد ﷺ ، فإنه الحق الذي لا شك فيه ولا مرية ، وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم ، كما قال تعالى : ﴿قل إني هادي ربي إلى صراط مستقيم﴾ دينا قبيلاً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين وقال تعالى : ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ .

إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ

إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾

يعبر تعالى أن أول بيت وضع للناس أي لعموم الناس لعبادتهم وتسكهم ، يطوفون به ، ويصلون إليه ، ويعتقون عنده ﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه ، ولا يحجون إلى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلى حجه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿مباركاً﴾ وهدى للعالمين وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله ، أي مسجد وضع أول ؟ قال «المسجد الحرام» . قلت : ثم أي ؟ قال «المسجد الأقصى» . قلت : كم بينهما ؟ قال «أربعون سنة» . قلت : ثم أي ؟ قال : «ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد» وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا سعيد بن سليمان ، عن شريك ، عن مجاهد ، عن الشعبي ، عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً﴾ قال : كانت البيوت قبله ، ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله .

وحدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عرعة ، قال : قام رجل إلى علي رضي الله عنه ، فقال : ألا تحدثني عن البيت ، أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ قال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وذكر تمام الخبر في كيفية بناء إبراهيم البيت ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في أول سورة البقرة فأغنى عن إعادته هنا ، وزعم السدي أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقاً ، والصحيح قول علي رضي الله عنه . فأما الحديث الذي رواه البيهقي في بناء الكعبة في كتابه دلائل النبوة من طريق ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً «بعث الله جبريل إلى آدم وحواء ، فأمرهما ببناء الكعبة ، فبناه آدم ، ثم أمر بالطواف به ، وقيل له : أنت أوم الناس ، وهذا أول بيت وضع للناس» فإنه كما ترى من مفردات ابن لهيعة وهو ضعيف . والأشبه ، والله أعلم ، أن يكون هذا موقوفاً على عبد الله بن عمرو ، ويكون من الزامتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب .

وقوله تعالى : ﴿لِلَّذِي بَيْكَةً﴾ بكة من أسماء مكة على المشهور ، قيل : سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجباية بمعنى أنهم يذلون بها ويخضعون عندها وقيل : لأن الناس يتباكون فيها أي يزدهمون . قال قتادة : إن الله بك به الناس جميعاً ، فيصلي النساء أمام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها ؛ وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعمرو بن شعيب ومقاتل بن حيان . وذكر حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : مكة من الفجج إلى التنعيم ، وبكة من البيت إلى البطحاء . وقال شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم : بكة البيت والمسجد ؛ وكذا قال الزهري . وقال عكرمة ، في رواية ، وميمون بن مهران : البيت وما حوله بكة ، وما وراء ذلك مكة . وقال أبو مالك وأبو صالح وإبراهيم النخعي وعطية العوفي ومقاتل بن حيان : بكة موضع البيت وما سوى ذلك مكة ، وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة : مكة ، وبكة ، والبيت العتيق ، والبيت الحرام ، والبلد الأمين ، والمأمون ، وأم رحم ، وأم القرى ، وصلاح ، والعرش على وزن بدر ، والقادس لأنها تطهر من الذنوب ، والمقدسة ، والناسة بالنون ، وبالباء أيضاً والباسة ، والحاطمة ، والرأس ، وكوثاء والبلدة ، والبنية ، والكعبة .

وقوله تعالى : ﴿فيه آيات بينات﴾ أي دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم ، أن الله عظمه وشرفه ؛ ثم قال تعالى : ﴿مقام إبراهيم﴾ يعني الذي لما ارتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران ، حيث كان يقف عليه ويناوله ولده إسماعيل ، وقد كان ملتصقاً بجدار البيت حتى أخرجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إمارته إلى ناحية الشرق بحيث يتمكن الطواف منه ، ولا يشوشون على المصلين عنده بعد الطواف ، لأن الله تعالى قد أمرنا بالصلاة عنده حيث قال : ﴿واخضعوا من مقام إبراهيم مصلين﴾ وقد قدمنا الأحاديث في ذلك فأغنى عن إعادته ههنا ، والله الحمد والمنة . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾ أي فمنهم مقام إبراهيم والمشارع . وقال مجاهد : أثر قدميه في المقام آية بينة ، وكذا روي عن عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم ، وقال أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة :

وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد وعمرو الأودي ، قال : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى : ﴿مقام إبراهيم﴾ قال : الحرم كله مقام إبراهيم ، ولفظ عمرو : الحجر كله مقام إبراهيم ، وروي عن سعيد بن جبيرة أنه قال : الحج كله مقام إبراهيم هكذا رأيته في النسخة ، ولعله الحجر كله مقام إبراهيم ؛ وقد صرح بذلك مجاهد . وقوله تعالى : ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ يعني حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء ، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية ، كما قال الحسن البصري وغيره : كان الرجل يقتل فيضع في عنقه صوفة ويدخل الحرم ، فيلقاه ابن المقتول فلا يبيحه حتى يخرج .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيى التميمي ، عن عطاء ؛ عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ قال : من عاذ بالبيت أعاده البيت ، ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ، فإذا خرج أخذ بذنبه ، وقال الله تعالى : ﴿أو لم يروا أننا جعلنا حرمنا آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾ الآية ؛ وقال تعالى : ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ وحتى أنه من جملة تعريمها حرمة اصطيد صيدها وتنفيذه عن أوكاره ، وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها ؛ كما ثبتت الأحاديث والآثار في ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً . ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ

فتح مكة «لا هجرة ولكن جهاد ونية» وإذا استنفرتم فانفروا» وقال يوم فتح مكة «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله، إلى يوم القيامة» وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا في ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعصده شوكة، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها» فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر فإنه لقيتهم وليبوتهم؟ فقال «إلا الإذخر»؛ ولها عن أبي هريرة مثله أو نحوه، ولها واللفظ لمسلم أيضا عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه؛ ثم قال «إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لأمريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، أو يعصدها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب». فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيده عاصياً، ولا فاراً بدم، ولا فاراً بخربة. وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة» رواه مسلم. وعن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف بالحرورة بسوق مكة، يقول «والله إنك لخبر أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» رواه الإمام أحمد، وهذا لفظه، والترمذي والنسائي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن صحيح، وكذا صحيح من حديث ابن عباس نحوه. وروى أحمد عن أبي هريرة نحوه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا بشر بن آدم ابن بنت أزهر السماء، حدثنا بشر بن عاصم. عن زريق بن مسلم الأعمى مولى بني مخزوم، حدثني زياد بن أبي عياش، عن يحيى ابن جعدة بن هيرة في قوله تعالى: «ومن دخله كان آمناً» قال: آمناً من النار. وفي معنى هذا القول الحديث الذي رواه البيهقي. أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، حدثنا أحمد بن عبيد، حدثنا محمد بن سليمان بن الواسطي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا ابن المؤمل عن ابن محيصن، عن عطاء، عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ «من دخل البيت دخل في حسنة، وخرج من سيئة، وخرج مغفوراً له» ثم قال: تفرد به عبد الله بن المؤمل، وليس بالقوي. وقوله «والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» هذه آية وجوب الحج عند الجمهور. وقيل: بل هي قوله «وأتموا الحج والعمرة لله»، والأول أظهر. وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً، وإنما يجب على المكلف في العمرة واحدة بالنص والإجماع. قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا الربيع بن مسلم القرشي، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً؛ فقال رسول الله ﷺ «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»، ثم قال «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤاها واختلافهم على أنبيائهم»، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه؛ ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن يزيد بن هارون بن نحوه. وقد روى سفيان بن حسين وسليمان بن كثير وعبد الجليل بن حميد ومحمد ابن أبي حفصة عن الزهري، عن أبي سنان الدؤلي واسمه يزيد ابن أمية، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال «يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج» فقام الأقرع بن حابس، فقال: يا رسول الله أفي كل عام؟ فقال «لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولن تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع» رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة، والحاكم من حديث الزهري به، ورواه شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه. وروي من حديث أسامة بن زيد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا منصور بن وردان عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى، عن أبيه، عن البخري، عن علي رضي الله عنه، قال: لما نزلت «والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» قالوا: يا رسول الله في كل عام؟ فسكت، قالوا: يا رسول الله في كل عام؟ قال «لا»، ولو قلت نعم لوجبت، فأنزل الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم» وكذا رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم من حديث منصور بن وردان به؛ ثم قال الترمذي: حسن غريب، وفيما قال نظر، لأن البخاري قال: لم يسمع أبو البخري عن علي. وقال ابن ماجة: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا محمد بن أبي عبيدة عن أبيه، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك، قال: فلو: يا رسول الله، الحج في كل عام؟ قال «لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لم تقوموا بها، ولو لم تقوموا بها، لتعذبتم». وفي الصحيحين من حديث ابن جريج عن عطاء، عن جابر، عن سراقه بن مالك، قال: يا رسول الله،

متعنتا هذه لعامنا هذا ، أم للأبد ؟ قال « لا . بل للأبد » . وفي رواية « بل لأبد الأبد » .

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود من حديث واقد بن أبي واقد الليثي عن أبيه أن رسول الله ﷺ ، قال لنسائه في حجة هذه « ثم ظهور الحصر - يعني ثم الزمن ظهور الحصر - ولا تخرجن من البيوت » وأما الاستطاعة فأقسام : تارة يكون الشخص مستطيعا بنفسه ، وتارة بغيره كما هو مقرر في كتب الأحكام ؛ قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا إبراهيم بن يزيد ، قال : سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : من الحاج يا رسول الله ؟ قال : « الشعث الثفل » ، فقام آخر فقال : أي الحج أفضل يا رسول الله ؟ قال : « العج والثج » ، فقام آخر فقال : ما السبيل يا رسول الله ؟ قال : « الزاد والراحلة » ؛ وهكذا رواه ابن ماجة من حديث إبراهيم بن يزيد وهو الجوزي . قال الترمذي : ولا يرفعه إلا من حديثه ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه ، كذا قال ههنا ؛ وقال في كتاب الحج : هذا حديث حسن لا يشك أن هذا الإسناد رجاله كلهم ثقات سوى الجوزي هذا ، وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث ، لكن قد تابعه غيره ، فقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، قال : جلست إلى عبد الله بن عمر ، قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له : ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ؛ وهكذا رواه ابن مردويه من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير به ثم قال ابن أبي حاتم : وقد روي عن ابن عباس وأنس والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك ؛ وقد روي هذا الحديث من طرق أخرى من حديث أنس وعبد الله بن عباس وابن مسعود وعائشة كلها مرفوعة ، ولكن في أسانيدنا مقال كما هو مقرر في كتاب الأحكام ، والله أعلم . وقد اعتنى الخافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث ، ورواه الحاكم من حديث قتادة عن حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن أنس أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله عز وجل ﴿ من استطاع إليه سبيلا ﴾ فقيل : ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ، ثم قال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية عن يونس ، عن الحسن ، قال قرأ رسول الله ﷺ ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ فقالوا : يا رسول الله ما السبيل ؟ قال « الزاد والراحلة » ؛ ورواه وكيع في تفسيره عن سفيان ، عن يونس به . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ؛ أنبأنا الثوري ، عن إسماعيل وهو أبو إسرائيل الملائي ، عن فضيل يعني ابن عمرو ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ « تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له » . وقال أحمد أيضا : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الحسن بن عمرو الفقيمي ، عن مهران ابن أبي صفوان ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ « من أراد الحج فليتعجل » ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي معاوية الضرير به . وقد روى وكيع وابن جرير عن ابن عباس في قوله ﴿ من استطاع إليه سبيلا ﴾ قال : من ملك ثلثمائة درهم فقد استطاع إليه سبيلا ، وعن عكرمة مولاة أنه قال : السبيل الصحة وروى وكيع بن الجراح عن أبي جنتاب يعني الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس ، قال ﴿ من استطاع إليه سبيلا ﴾ قال « الزاد والبعر » وقوله تعالى : ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : أي ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غني عنه . وقال سعيد بن منصور عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة ، قال : لما نزلت ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ قالت اليهود : فنحن مسلمون ، قال الله عز وجل : فاخصمهم فحجهم ، يعني فقال لهم النبي ﷺ « إن الله فرض على المسلمين حج البيت من استطاع إليه سبيلا » فقالوا : لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا ؛ قال الله تعالى : ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه . وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، وشاذ بن فياض ، قال : حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني ، حدثنا أبو إسحاق الهمداني عن الحارث ، عن علي رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ « من ملك زادا وراحلة ولم يحج بيت الله ، فلا يضره مات يهودياً أو نصرانياً ، وذلك بأن الله قال : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » ورواه ابن جرير من حديث مسلم بن إبراهيم به ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة الرازي ، حدثنا هلال بن الفياض ، حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني ، فذكر بإسناده مثله ، ورواه الترمذي عن محمد بن علي القطعي عن مسلم بن إبراهيم ، عن هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي به ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفي إسناده مقال ، وهلال مجهول ، والحارث يضعف في الحديث . وقال البخاري : هلال هذا منكر الحديث . وقال ابن عدي : هذا الحديث ليس بمحفوظ . وقد روى أبو بكر الإسماعيلي الخافظ من حديث أبي عمرو الأوزاعي : حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، حدثني عبد الرحمن

ابن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : من أطاق الحج فلم يحج ، فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً ، وهذا إسناد صحيح إلى عمر رضي الله عنه . وروى عن سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري ، قال : قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجلاً إلى هذه الأمصار إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج ، فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ، ما هم بمسلمين .

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٩﴾

هذا تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله ، وصدهم عن سبيل الله من أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم ، مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله وبما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين والسادة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وما بشروا به ونوهوا به من ذكر النبي الأمي الهاشمي العربي المكي سيد ولد آدم ، وخاتم الأنبياء ، ورسول رب الأرض والسماء ، وقد توعدهم الله على ذلك ، وأخبر بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم الرسول المبشر به بالكذب والجحود والعناد ، فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون ، أي وسيجزيهم على ذلك ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٩٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٩١﴾

يحذر تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم من إرسال رسوله ، كما قال تعالى : ﴿وذكر كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ الآية ؛ وهكذا قال ههنا ﴿إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ ثم قال تعالى : ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾ يعني أن الكفر بعيد منكم وحاشاكم منه ، فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلاً ونهاراً ، وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا ببركم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين﴾ الآية بعدها . وكما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوماً «أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً؟» قالوا : «الملائكة» . قال «وكيف لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟» قالوا : «فنحن» . قال «وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟» قالوا : «فأي الناس أعجب إيماناً؟» قال «قوم يحيثون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها» ؛ وقد ذكرت سند هذا الحديث والكلام عليه في أول شرح البخاري ، والله الحمد ثم قال تعالى : ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ أي ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية ، والعمدة في مبالغة الغواية ، والوسيلة إلى الرشاد ، وطريق السداد وحصول المراد .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٩٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٩٣﴾

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الحميد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن سفيان وشعبة عن زيد اليامي ، عن مرة ، عن عبد الله هو ابن مسعود ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ قال : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ،

وهذا إسناد صحيح موقوف ؛ وقد تابع مرة عليه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود ، وقد رواه ابن مردويه من حديث يونس ابن عبد الأعلى عن ابن وهب ، عن سفيان الثوري ، عن زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ «اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى» ، وكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث مسعر عن زبيد ، عن مرة ، عن ابن مسعود مرفوعاً ، فذكره ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ؛ كذا قال ؛ والأظهر أنه موقوف ، والله أعلم . ثم قال ابن أبي حاتم : وروي نحوه عن مرة الهمداني والربيع بن خيثم وعمرو ابن ميمون وإبراهيم النخعي وطاوس والحسن وقتادة وأبي سنان والسدي ، نحو ذلك . وروي عن أنس أنه قال : لا يتقي الله العبد حق تقاته حتى يحزن لسانه . وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية . والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال : لم تنسخ ، ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وأبنائهم . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا إِلَّا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه ، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه ، فعياداً بالله من خلاف ذلك .

وقال الإمام أحمد ، حدثنا روح ، حدثنا شعبة ، قال : سمعت سليمان عن مجاهد : إن الناس كانوا يظوفون بالبيت وإن ابن عباس جالس معه محجن ، فقال : قال رسول الله ﷺ «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا ، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم ، فكيف بمن ليس له طعام إلا الزقوم ؟» وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق عن شعبة به وقال الترمذي : حسن صحيح ؛ وقال الحاكم : على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب ، عن عبد الرحمن ابن عبد رب الكعبة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه» .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان ، عن جابر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» رواه مسلم من طريق الأعمش به . وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يونس عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال «إن الله قال : أنا عند ظن عبدي بي ، فإن ظن بي خيراً فله ، وإن ظن بي شراً فله» ؛ وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «يقول الله : أنا عند ظن عبدي بي» .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عبد الملك القرشي ، حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت وأحسبه عن أنس ، قال : كان رجل من الأنصار مريضاً ، فجاءه النبي ﷺ يعود ، فوافقه في السوق فسلم عليه ، فقال له «كيف أنت يا فلان ؟» قال : بخير يا رسول الله ، أرجو الله وأخاف ذنوبي ، قال رسول الله ﷺ «لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف» ، ثم قال : لا نعلم ؛ رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان ، وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديثه ؛ ثم قال الترمذي : غريب ، وكذا رواه بعضهم عن ثابت مرسلاً ، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن أبي بشر ، عن يوسف بن ماهك ، عن حكيم بن حزام ، قال : بايعت رسول الله ﷺ أن لا آخر إلا قائماً ، ورواه النسائي في سننه عن إسماعيل بن مسعود عن خالد ابن الحارث عن شعبة به ، وترجم عليه فقال [باب كيف يخر للسجود] : ثم ساقه مثله فقليل : معناه أن لا أموت إلا مسلماً ، وقيل : معناه أن لا أقتل إلا مقبلاً غير مدبر وهو يرجع إلى الأول .

وقوله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ قيل «بحبل الله» أي بعهده الله ، كما قال في الآية بعدها «ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس» أي بعهده وذمة ، وقيل بحبل من الله يعني القرآن كما في حديث الحارث الأعور عن علي مرفوعاً في صفة القرآن «هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم» .

وقد ورد في ذلك حديث خاص بهذا المعنى ، فقال الإمام الحافظ أبو جعفر الطبري : حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، حدثنا أسباط بن محمد عن عبد الملك بن سليمان العزمي عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» .

وروي ابن مردويه من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري عن أبي الأحوص ؛ عن عبد الله رضي الله عنه ، قال : قال

رسول الله ﷺ «إن هذا القرآن هو حبل الله المتين ، وهو النور المبين ، وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه» ، وروى من حديث حذيفة وزيد بن أرقم نحو ذلك . وقال وكيع : حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال : قال عبد الله . إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين . يا عبد الله هذا الطريق ، هلم إلى الطريق فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله القرآن .

وقوله : ﴿ولا تفرقوا﴾ أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة . وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق ، والأمر بالاجتماع والائتلاف ، كما في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويسخط لكم ثلاثاً ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضاً . وخيف عليهم الافتراق والاختلاف ، فقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار ، وهم الذين على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

وقوله تعالى : ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ إلى آخر الآية ، وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج ، فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، وعداوة شديدة وضغائن وإحن وذحول ، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم ، فلما جاء الله بالاسلام ، فدخل فيه من دخل منهم ، صاروا إخواناً متحابين بجلال الله ، متواصلين في ذات الله ، متعاونين على البر والتقوى ، قال الله تعالى : ﴿وهو الذي أبدك نصرته بال مؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم﴾ إلى آخر الآية ، وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم ، فأنقذهم الله منها أن هداهم للإيمان ، وقد امتن عليهم بذلك رسول الله ﷺ يوم قسم غنائم حنين ، فعتب من عتب منهم ، بما فضل عليهم في القسم ، بما أراه الله فخطبهم فقال «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم تفرقون فألّفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟» فكلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمّن . وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار وغيره : أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج . وذلك أن رجلاً من اليهود مر ببلأ من الأوس والخزرج ، فساء ما هم عليه من الاتفاق والألفة ، فبعث رجلاً معه أمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعثت تلك الحروب ، ففعل ، فلم يزل ذلك دأبه ، حتى حيت نفوس القوم ، وغضب بعضهم على بعض ، وتناوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟» وتلا عليهم هذه الآية ، فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا نسلح رضي الله عنهم . وذكر عكرمة أن ذلك نزل فيهم حين تناوروا في قضية الإفك ، والله أعلم .

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١١﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ يَمِينِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٣﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١٥﴾

يقول تعالى : ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ، قال الضحاك : هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة ، يعني المجاهدين والعلماء . وقال أبو جعفر الباقر : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ولتكن منكم أمة يدعو إلى الخير﴾ ثم قال «الخير اتباع القرآن وستي» رواه ابن مردويه . والمقصود من هذه الآية ، أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك ، واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ «من رأى منكم منكراً فليغيره

بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلمه ، وذلك أضعف الإيمان» وفي رواية «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان الهاشمي ، أنبأنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرني عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي ، عن حذيفة بن اليمان ، أن النبي ﷺ قال «والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم» ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمرو بن أبي عمرو به ، وقال الترمذي : حسن ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، مع الآيات الكريمة ، كما سيأتي تفسيرها في أماكنها . ثم قال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الآية ، ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، مع قيام الحجة عليهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني ازهر بن عبد الله الهروي ، عن أبي عامر عبد الله بن يحيى ، قال : حججنا مع معاوية بن أبي سفيان ، فلما قدمنا مكة ، قام حين صلى صلاة الظهر ، فقال : إن رسول الله ﷺ قال «إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة - وهي الجماعة - وإنه سيخرج في أمي أقوام تنجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله» والله يا معشر العرب ، لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به . وهكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى ، كلاهما عن أبي المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي به ، وقد ورد هذا الحديث من طرق .

وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ يعني يوم القيامة ، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ قال الحسن البصري : وهم المنافقون ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ وهذا الوصف يعم كل كافر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني الجنة ما كانوا فيها أبداً لا يبعثون عنها حولا .

وقد قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع عن الربيع بن صبيح وحامد بن سلمة ، عن أبي غالب ، قال : رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبة على درج مسجد دمشق . فقال أبو أمامة : كلاب النار شرقت تحت أديم السماء خير قتل من قتلوه ، ثم قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى آخر الآية ، قلت لأبي أمامة : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : لو لم أسمع إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً - حتى عد سبعة - ما حدثتكموه ، ثم قال : هذا حديث حسن ، وقد رواه ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن أبي غالب ، وأخرجه أحمد في مسنده عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أبي غالب بنحوه .

وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبي ذر حديثاً مطولاً غريباً عجيباً جداً . ثم قال تعالى : ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ أي هذه آيات الله وحججه وبيناته نتلوها عليك يا محمد (بالحق) أي نكشف ما الأمر عليه في الدنيا والآخرة ﴿وَمَا اللَّهُ يَرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي ليس بظالم لهم بل هو الحاكم ، العدل الذي لا يجر ، لأنه القادر على كل شيء ، العالم بكل شيء ، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحداً من خلقه ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي الجميع ملك له وعبيد له ﴿وَالِلَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ أي هو الحاكم المتصرف في الدنيا والآخرة .

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ أَمَرَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى
وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ لَأَذَبَارْتُمْ لَا يُمْسِرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَنْ مَاتُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ
وَبَآءُ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

ينحصر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم ، فقال تعالى : ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال البخاري : حدثنا محمد بن يوسف ، عن سفيان بن ميسرة ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام ، وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفي وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يعني خير الناس للناس ، والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس ، ولهذا قال ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ قال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن عبد الله بن عميرة ، عن درة بنت لهب قالت : قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر ، فقال : يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال «خير الناس أقرامهم وأتقاهم الله ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم» ورواه أحمد في مسنده ، والنسائي في سننه ، والحاكم في مستدركه . من حديث سماك ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال : هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة . والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه ، وخير قروهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، كما قال في الآية الأخرى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي خياراً ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الآية .

وفي مسند الإمام أحمد وجامع الترمذي وسنن ابن ماجة ومستدرك الحاكم من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ «أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل» وهو حديث مشهور ، وقد حسنه الترمذي . ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه . وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله ، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل ؛ فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا ابن زهير ، عن عبد الله يعني ابن محمد بن عقيل ، عن محمد بن علي وهو ابن الحنفية : أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء» فقلنا يا رسول الله ما هو ؟ قال «نصرت بالرعب ، وأعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت أحمد وجعل التراب لي طهوراً ، وجعلت أمتي خير الأمم» تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وإسناده حسن .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو العلاء الحسن بن سوار ، حدثنا ليث عن معاوية بن أبي جبير ، عن يزيد بن ميسرة ، قال : سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول : سمعت أبا القاسم ﷺ وما سمعته يكتبه قبلها ولا بعدها يقول «إن الله تعالى يقول : يا عيسى إني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا . ولا حلم ولا علم . قال : يا رب كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيتهم من حلمي وعلمي» . وقد وردت أحاديث يناسب ذكرها هنا . قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا المسعودي حدثنا بكير ابن الأخنس ، عن رجل ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ «أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً» فقال أبو بكر رضي الله عنه : فرأيت أن ذلك أت على أهل القرى ومصيب من حافات البوادي . [حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن بكر السهمي ، حدثنا هشام بن حسان ، عن القاسم بن مهران ، عن موسى بن عبيد ، عن ميمون بن مهران ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ قال «إن ربي أعطاني سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» فقال عمر : يا رسول الله فهل استزدت ؟ فقال : «استزدت فأعطاني مع كل ألف سبعين ألفاً» قال عمر : فهل استزدت ؟ قال «قد استزدت فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً» . قال عمر : فهل استزدت ؟ قال «قد استزدت فأعطاني هكذا» ؛ وفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بين يديه ، وقال عبد الله : وبسط باعيه ، وحشا عبد الله ، وقال هاشم : وهذا من الله لا يدري ما عدده .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن ضمضم بن زرعة قال : قال شريح بن عبيدة : مرض ثوبان بحمص ، وعليها عبد الله بن قرط الأزدي ، فلم يعده ، فدخل على ثوبان رجل من الكلاعيين عائداً له ، فقال له ثوبان : أكتب ؟ قال : نعم ، قال : اكتب ، فكتب للأمير عبد الله بن قرط من ثوبان مولى رسول الله ﷺ أما بعد فإنه لو كان لموسى وعيسى عليهما السلام بحضرتك خادم لعدته . ثم طوى الكتاب وقال له : أتبلغه إياه ؟ قال : نعم ، فانطلق الرجل بكتابه فدفعه إلى ابن قرط ، فلما رآه ، قام فرعاً ، فقال الناس : ما شأنه أحدث أمر ؟ فأتى ثوبان فدخل عليه فعاده وجلس عنده ساعة ، ثم قام فأخذ ثوبان بردائه وقال : اجلس حتى أحدثك حديثاً سمعته

عن رسول الله ﷺ ، سمعته يقول «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفاً» تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وإسناد رجاله كلهم ثقات شاميون حمصيون ، فهو حديث صحيح ، والله الحمد والمنة .
[طريق أخرى] - قال الطبراني : حدثنا عمرو بن إسحاق بن زريق الحمصي ، حدثنا محمد بن إسماعيل يعني ابن عياش ، حدثني أبي ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد عن أبي أسماء الرحبي ، عن ثوبان رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن ربي عز وجل وعدني من أمتي سبعين ألفاً لا يحاسبون ، مع كل ألف سبعون ألفاً» هذا لعله هو المحفوظ بزيادة أبي أسماء الرحبي بين شريح وبين ثوبان ، والله أعلم .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة ثم غدونا إليه ، فقال «عرضت علي الأنبياء الليلة بأجمعها ، فجعل النبي يمر ومعهم الثلاثة ، والنبي ومعهم العصابة ، والنبي ومعهم النفر ، والنبي وليس معه أحد ، حتى مر علي موسى عليه السلام ومعهم كيكية من بني إسرائيل ، فأعجبوني فقلت : من هؤلاء ؟ قيل : هذا أخوك موسى ومعهم بنو إسرائيل . فقلت : فأين أمتي ؟ فقيل : انظر عن يمينك ؛ فنظرت فإذا الضراب قد سد بوجوه الرجال ، فقيل لي : أرضيت ؟ فقلت ؛ رضيت يا رب - قال - فقيل لي : إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» فقال النبي ﷺ : «فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفاً فافعلوا ، فإن قصرتم فكونوا من أهل الضراب ، فإن قصرتم فكونوا من أهل الأفق ، فإني قد رأيت ثم أناسا يتهاوشون» فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، أي من السبعين ؛ فدعاه ، فقام رجل آخر فقال : ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم ؛ فقال «سبقك بها عكاشة» قال : ثم تحدثنا فقلنا : من ترون هؤلاء السبعين ألفاً ، قوم ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : «هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون» هكذا رواه أحمد بهذا السند وهذا السياق ، ورواه أيضاً عن عبد الصمد بن هشام عن قتادة بإسناده مثله ، وزاد بعد قوله «رضيت يا رب ، رضيت يا رب ، قال : رضيت . قلت : نعم . قال : انظر عن يسارك - قال - فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال ، فقال : رضيت ؟ قلت : رضيت» وهذا إسناد صحيح من هذا الوجه ، تفرد به أحمد ، ولم يخرجوه .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز ؛ حدثنا حماد عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : «عرضت علي الأمم بالموسم فرائت علي أمتي ، ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم وهيبهم ، قد ملؤوا السهل والجبل ، فقال : أرضيت يا محمد ؟ فقلت : نعم . قال : فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ؛ فقال : «أنت منهم» . فقام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ؛ فقال : «سبقك بها عكاشة» رواه الحافظ الضياء المقدسي ، وقال : هذا عندي على شرط مسلم .
[حديث آخر] - قال الطبراني : حدثنا محمد بن محمد الجذوعي القاضي ، حدثنا عتبة بن مكرم ، حدثنا محمد بن أبي عدي عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ﷺ : «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب» قيل : من هم ؟ قال «هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون» ورواه مسلم عن طريق هشام بن حسان ، وعنده ذكر عكاشة .

[حديث آخر] : ثبت في الصحيحين من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يدخل الجنة من أمتي زمرة وهم سبعون ألفاً ، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر» ؛ قال أبو هريرة : فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع غرة عليه ، فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ؛ فقال رسول الله ﷺ «اللهم اجعله منهم» ؛ ثم قام رجل من الأنصار فقال مثله ؛ فقال «سبقك بها عكاشة» .

[حديث آخر] - قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا يحيى بن عثمان ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا أبو غسان عن أبي حازم ، عن السهل بن سعد أن النبي ﷺ قال : «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً - أو سبعمائة ألف - آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» أخرجه البخاري ومسلم جميعاً عن قتبية ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل به .

[حديث آخر] - قال مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا هشيم ، أنبأنا حصين بن عبد الرحمن ، قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال ؛ أيكم رأى الكوكب الذي انقض الباردة ؟ قلت : أنا ، ثم قلت :

أما إني لم أكن في صلاة ، ولكنني لدغت . قال : فما صنعت ؟ قلت : استرقيت . قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي . قال : وما حدثكم الشعبي ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمي أنه قال « لا رقية إلا من عين أو حمة » . قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد » إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه ؛ ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ؛ فقيل لي : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد عظيم ؛ فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر ؛ فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ثم نهض فدخل منزله فحاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم : فلعلمهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلمهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ ، فقال « ما الذي تخوضون فيه ؟ » فأخبروه ، فقال : « هم الذين لا يرقون ، ولا يسترقون ، ولا يكتنون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتكفلون » فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . « قال : أنت منهم » ؛ ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ؛ قال « سبقك بها عكاشة » وأخرجه البخاري عن أسيد بن زيد عن هشيم ، وليس عنده : لا يرقون .

[حديث آخر] - قال أحمد : حدثنا روح بن عباد ، حدثنا ابن جرير ، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ ، فذكر حديثاً ، وفيه « فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء » ثم كذلك ، وذكر بقيته ؛ رواه مسلم من حديث روح ، غير أنه لم يذكر النبي ﷺ . [حديث آخر] - قال الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنن له : حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد ، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل » وكذا رواه الطبراني من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش به ، وهذا إسناد جيد . [حديث آخر] - عن أبي أمامة . قال ابن أبي عاصم ؛ حدثنا دحيم ، حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر ، عن أبي اليمان الهروي واسمه عامر بن عبد الله بن يحيى ، عن أبي أمامة عن رسول الله ، قال : « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب » فقال يزيد بن الأخصس : والله ما أولئك في أمك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصهب في الذباب ، قال رسول الله « فإن الله وعدني سبعين ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً ، وزادني ثلاث حثيات » ، وهذا أيضاً إسناد حسن .

[حديث آخر] - قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن خليد ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام عن يزيد ابن سلام أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ « إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً ، ثم يحيي ربي عز وجل بكفيه ثلاث حثيات » فذكر عمر وقال : إن السبعين الأول يشفعهم الله في أبائهم وأبنائهم وعشيرتهم ، وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر . قال الحافظ الضياء أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة : لا أعلم لهذا الإسناد علة ، والله أعلم .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا هشام يعني الدستوائي ، حدثنا يحيى ابن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة ، حدثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه ، قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد - أو قال : بقديد - فذكر حديثاً ، وفيه ثم قال « وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ، وإنني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوءوا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة » قال الضياء : وهذا عندي على شرط مسلم .

[حديث آخر] - قال عبد الرزاق : أنبأ ، معمر عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف » . قال أبو بكر رضي الله عنه : زدنا يا رسول الله . قال : « والله هكذا » . قال عمر : حسبك يا أبا بكر ؛ فقال أبو بكر : دعني وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلها . قال عمر : إن شاء أدخل خلقه الجنة بكف واحد ؛ فقال النبي ﷺ « صدق عمر » .

هذا الحديث بهذا الإسناد تفرد به عبد الرزاق . قال الضياء وقد رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ، قال : حدثنا محمد بن

أحمد بن محمد ، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا أبو هلال عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : «وعندي ربي أن يدخل الجنة من أمتي مائة ألف» فقال له أبو بكر : يا رسول الله ، زدنا . قال : «وهكذا» وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك . قلت : يا رسول الله ، زدنا ؛ فقال عمر : إن الله قادر على أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة ، فقال رسول الله ﷺ «صدق عمر» ؛ هذا حديث غريب من هذا الوجه . وأبو هلال اسمه محمد بن سليم الراسبي بصري .

[طريق أخرى] عن أنس . قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي ، حدثنا حميد عن أنس ، عن النبي ﷺ قال «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً» قالوا : زدنا يا رسول الله . قال : «لكل رجل سبعون ألفاً» . قالوا : زدنا وكان على كثيب ، فقالوا : فقال «هكذا» وحثا بيديه . قالوا : يا رسول الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا ، وهذا إسناده جيد ، ورجاله كلهم ثقات ، ما عدا عبد القاهر بن السري . وقد سئل عنه ابن معين فقال : صالح .

[حديث آخر] - روى الطبراني من حديث قتادة عن أبي بكر بن عمر ، عن أبيه أن النبي ﷺ ، قال : «إن الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلثمائة ألف الجنة بغير حساب» فقال عمر : يا رسول الله ، زدنا ؛ فقال : «وهكذا» بيده ؛ فقال عمر : يا رسول الله ، زدنا ؛ فقال عمر : حسبك إن الله إن شاء أدخل خلقه الجنة بحفنة أو بحفنة واحدة ، فقال نبي الله ﷺ «صدق عمر» .

[حديث آخر] - قال الطبراني : حدثنا أحمد بن خليد ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية ابن سلام عن يزيد بن سلام يقول : حدثني عبد الله بن عامر أن قيساً الكندي حدثه أن أبا سعيد الأغاري حدثه أن رسول الله ﷺ ، قال : «إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ، ويشفع كل ألف لسبعين ألفاً ، ثم يحشي ربي ثلاث حثيات بكفيه» ، كذا قال قيس ؛ فقلت لأبي سعيد : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم بأذني ، ووعاه قلبي . قال أبو سعيد : قال يعني رسول الله ﷺ : «وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي ويوفي الله بقيته من أعرابنا» وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده مثله ، وزاد : قال أبو سعيد : فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ ، فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعين ألفاً .

[حديث آخر] - قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا هشيم بن مرثد الطبراني ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : «أما والذي نفس محمد بيده ليعشن منكم يوم القيامة إلى الجنة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض ، تقول الملائكة : لم جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الأنبياء؟» وهذا إسناده حسن .

[حديث آخر] - من الأحاديث الدالة على فضيلة هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله عز وجل ، أنها خير الأمم في الدنيا والآخرة ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير أنه سمع النبي ﷺ يقول : «إني لأرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة» فكبرنا ؛ ثم قال : «أرجو أن يكونوا ثلث الناس» قال ؛ فكبرنا ؛ ثم قال : «أرجو أن يكونوا الشطر» ، وهكذا رواه عن روح ابن جريج به ، وهو على شرط مسلم . وثبت في الصحيحين من حديث أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال لنا رسول الله ﷺ : «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟» فكبرنا ؛ ثم قال : «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» فكبرنا ؛ ثم قال : «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة» .

[طريق أخرى] عن ابن مسعود . قال الطبراني : حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثني الحارث بن حصين ، حدثني القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : «كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟» قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «كيف أنتم وثلثها؟» قالوا : ذاك أكثر . قال : «كيف أنتم والشطر لكم؟» قالوا : ذاك أكثر ، فقال رسول الله ﷺ : «أهل الجنة عشرون ومائة صف ، لكم منها ثمانون صفاً» قال الطبراني : تفرد به الحارث بن حصين . [حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا ضار بن مرة أبو سنان الشيباني عن محارب بن دینار ، عن ابن بريدة ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ قال «أهل الجنة عشرون ومائة صف ؛ هذه الأمة من ذلك ثمانون صفاً» وكذا رواه عن عفان عن عبد العزيز به ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سنان به ؛ وقال : هذا حديث حسن ؛ ورواه ابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه به .

[حديث آخر] - روى الطبراني من حديث سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي : حدثنا خالد بن يزيد الجلي ، حدثنا سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه ، عن النبي ﷺ ، قال : «أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من أمتي» نفرد به خالد بن يزيد الجلي ، وقد تكلم فيه ابن عدي .

[حديث آخر] - قال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا موسى بن غيلان ، حدثنا هاشم بن محمد ، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان ، عن أبي عمرو ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : لما نزلت ﴿ثلاثة من الأولين وثلاثة من الآخرين﴾ قال رسول الله ﷺ «أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة ، أنتم ثلثا أهل الجنة» .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال «نحن لأولون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخولاً الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه الناس لنا فيه تبع غداً لليهود والنصارى بعد غد» روه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن طاوس عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، مرفوعاً بنحوه ؛ ورواه مسلم أيضاً من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة» وذكر تمام الحديث .

[حديث آخر] - روى الدارقطني في الأفراد من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «إن الجنة حرمات على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمات على الأمم حتى تدخلها أمتي» ، ثم قال : انفرد به ابن عقيل عن الزهري ، ولم يرو عنه سواه ؛ وتفرد به زهير بن محمد عن ابن عقيل ؛ وتفرد به عمرو بن أبي سلمة عن زهير . وقد رواه أبو أحمد بن عدي الحافظ ، فقال : حدثنا أحمد بن الحسين بن إسحاق ، حدثنا أبو بكر الأعين محمد بن أبي غياث ، حدثنا أبو حفص التيسبي ، حدثنا صدقة الدمشقي عن زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري . ورواه الثعلبي : حدثنا أبو عباس المخلدي أنبأنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد ، أنبأنا أحمد بن عيسى التيسبي ، حدثنا عمرو بن سلمة ، حدثنا صدقة بن عبد الله عن زهير بن محمد بن عقيل به .

فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح ، كما قال قتادة : بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها ، رأى من الناس دعة ، فقرأ هذه الآية ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ ثم قال : من سره أن يكون من هذه الأمة ، فليؤد شرط الله فيها ، ورواه ابن جرير ، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى : ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ الآية ؛ ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات ، شرع في ذم أهل الكتاب وتأنبهم ؛ فقال تعالى ﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾ أي بما أنزل على محمد ﴿لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ أي قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ، وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان .

ثم قال تعالى مخبراً عباده المؤمنين ومبشراً لهم أن النصر والظفر لهم على أهل الكتاب الكفرة الملحدين ؛ فقال تعالى : ﴿لن يضرركم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾ هكذا وقع ، فإنهم يوم خير أذهم الله وأرغم أنوفهم ، وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة كلهم أذهم الله ؛ وكذلك النصارى بالشام كسرهم الصحابة في غير ما موطن ، وسلبوهم ملك الشام أبد الأبدين ودهر الداهرين ؛ ولا تزال عصاة الإسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى بن مريم وهم كذلك ، ويمحكم بملة الإسلام وشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام . ثم قال تعالى : ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ أي ألزهمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون ﴿إلا بحبل من الله﴾ أي أمان منهم لهم ، كما في المهدن والمعاهد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين ولو امرأة ، وكذا عبد على أحد قولي العلماء ؛ قال ابن عباس ﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ أي بعهد من الله وعهد من الناس وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي والربيع بن أنس . وقوله ﴿وباءوا بغضب من الله﴾ أي ألزموا : فالتزموا بغضب من الله وهم يستحقونه ﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ أي ألزموها قدراً وشرعاً . ولهذا قال ﴿ذلك بأنهم يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾ أي إنما حملهم على ذلك الكبر والبغي والحسد فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبداً متصلاً بذل الآخرة ، ثم

قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي إنما حلهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله ، وقيضوا لذلك - أنهم كانوا يكثرُونَ العصيان لأوامر الله والغشيان لمعاصي الله ، والاعتداء في شرع الله ، فعياً بالله من ذلك ، والله عز وجل المستعان . قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ، عن سليمان الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر الأزدي ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلثمائة نبي ، ثم يقوم سوق بقلهم في آخر النهار .

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ

وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٧﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ

فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢٠﴾

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا

ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٢١﴾

قال ابن أبي نجيع : زعم الحسن بن أبي يزيد العجلي ، عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ قال : لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ ، وهكذا قال السدي . ويؤيد هذا القول الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى ، قالا : حدثنا شيبان عن عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود قال : أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ، ثم خرج إلى المسجد ، فإذا الناس ينتظرون الصلاة ، فقال «أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم» قال : فنزلت هذه الآيات ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب - إلى قوله - والله عليم بالمتقين﴾ والمشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره ، ورواه العوفي عن ابن عباس - أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن شعبة وغيرهم ، أي لا يستوي من تقدم ذكرهم بالدم من أهل الكتاب ، وهؤلاء الذين أسلموا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ليسوا سواء﴾ أي ليسوا كلهم على حد سواء ، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ أي قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه ، متبعة نبي الله ، فهي قائمة ، يعني مستقيمة ﴿يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ أي يقيمون الليل ويكثرُونَ التهجد ، ويتلون القرآن في صلواتهم ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾ وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله﴾ الآية ؛ ولهذا قال تعالى ههنا ﴿وما يفعلوا من خير فلن يكفروه﴾ أي لا يضيع عند الله ، بل يجزيهم به أوفر الجزاء ﴿والله عليم بالمتقين﴾ أي لا يخفى عليه عمل عامل ، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملاً . ثم قال تعالى غيباً عن الكفرة المشركين بأنه ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ أي لا ترد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أرادهم بهم ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار في هذه الدار ، قال مجاهد والحسن والسدي ؛ فقال تعالى : ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريحٍ فيها صرٌّ﴾ أي برد شديد ؛ قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم . وقال عطاء : برد وجليد ؛ وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد ﴿فيها صرٌّ﴾ أي نار وهو يرجع إلى الأول ، فإن البرد الشديد ولا سيما الجليد يحرق الزروع والثمار ، كما يحرق الشيء بالنار ﴿أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾ أي فأحرقته ، يعني بذلك السعفة إذا نزلت على حرث قد أن جذاذه أو حصاده ، فدمرته وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع ، فذهبت به وأفسدته ، فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه . فكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرها ، كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه . وكذلك هؤلاء بنوها على غير أصل وعلى غير أساس ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَٰئِنتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقُومُ قَالَُوا ءَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَٰلَيْكُمْ ءَلَانًا مَلِ
مِنْ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْفَ تُمْسِكُوا وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا
بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ يَعْمَلُ مَا يُحِيطُ ﴿١٢٠﴾

يقول تبارك وتعالى ناهياً عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة ، أي يطلعونهم على سرائرهم وما يضرهم ولا أعدائهم ، والمنافقون بجهدهم وطاقاتهم ، لا يألون المؤمنين خبالاً ، أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن ، وبما يستطيعون من المكر والخديعة ؛ ويدون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم ؛ وقوله تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ﴾ أي من غيركم من أهل الأديان ، وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره . وقد روى البخاري والنسائي وغيرهما ، من حديث جماعة منهم يونس ويحيى بن سعيد وموسى بن عقبة وابن أبي عتيق عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه ؛ والمعصوم من عصمه الله ، وقد رواه الأوزاعي ومعاوية بن سلام عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه ؛ فيحتمل أنه عند الزهري عن أبي سلمة عنها ؛ وأخرجه النسائي عن الزهري أيضاً ؛ وعلقه البخاري في صحيحه ، فقال : وقال عبيد الله بن أبي جعفر عن صفوان بن سليم ، عن أبي سلمة ، عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً فذكره ، فيحتمل أنه عند أبي سلمة عن ثلاثة من الصحابة ، والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو أيوب محمد بن الوزان ؛ حدثنا عيسى بن يونس عن أبي حيان التميمي ، عن أبي الزيناع ، عن ابن أبي الدهقانة ، قال : قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة حافظ كاتب ، فلو اتخذته كاتباً ؛ فقال : قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين . ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعماهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ ؛ وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا إسحاق بن إسرائيل ، حدثنا هشيم ، حدثنا العوام عن الأزهر بن راشد ، قال : كانوا يأتون أنساً فإذا حدثهم بحدث لا يدرون ما هو ، أتوا الحسن يعني البصري ، فيفسره لهم ؛ قال : فحدث ذات يوم عن النبي ﷺ أنه قال لا تستضيئوا بنار المشركين ، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً فلم يدروا ما هو ؛ فأتوا الحسن فقالوا له : إن أنساً حدثنا أن رسول الله ﷺ قال « لا تستضيئوا بنار المشركين ، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً » فقال الحسن : أما قوله « لا تنقشوا في خواتيمكم عربياً » محمد ﷺ ، وأما قوله « لا تستضيئوا بنار المشركين » يقول : لا تستيروا المشركين في أموركم . ثم قال الحسن : تصديق ذلك في كتاب الله « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دُونِكُمْ » هكذا رواه الحافظ أبو يعلى رحمه الله تعالى ؛ وقد رواه النسائي عن مجاهدين موسى ، عن هشيم ؛ ورواه الإمام أحمد عن هشيم بإسناده مثله في غير ذكر تفسير الحسن البصري ؛ وهذا التفسير فيه نظر ومعناه ظاهر « لا تنقشوا في خواتيمكم عربياً » أي بخط عربي ، لئلا يشابه نقش خاتم النبي ﷺ ، فإنه كان نقشه محمد رسول الله ؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أنه نهي أن ينقش أحد على نقشه . وأما الاستضاءة بنار المشركين ، فمعناه لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم ، بل تباعدوا منهم ، وهاجروا من بلادهم ؛ ولهذا روى أبو داود « لا تترأى نارهما » وفي الحديث الآخر « من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله » فحمل الحديث على ما قاله الحسن رحمه الله ، والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر ، والله أعلم .

ثم قال تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ أي قد لاح على صفحات وجوههم ، وفلتات ألسنتهم من العداوة ، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله ، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هَٰأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ أي أنتم أي المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهره لكم من الإيمان فتحبونهم على ذلك ، وهم لا يحبونكم لا باطناً

ولا ظاهراً ، ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ أي ليس عندكم في شيء منه شك ولا ريب ، وهم عندهم الشك والريب والخيرة . وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ أي بكتابتكم وكتابتهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك ، وهم يكفرون بكتابتكم ، فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم ، رواه ابن جرير ؛ ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ والأنامل أطراف الأصابع ، قاله قتادة وقال الشاعر :

وما حملت كفاي أنجلي العشا

وقال ابن مسعود والسدي والربيع بن أنس : الأنامل الأصابع ، وهذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودة ، وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه ، كما قال تعالى : ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ وذلك أشد الغيظ والحق . قال الله تعالى : ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ إن الله عليم بذات الصدور أي مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغظكم ذلك منهم ، فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه ؛ ومعل كلمته ومظهر دينه ، فموتوا أنتم بغيظكم ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ أي هو عليم بما تنطوي عليه ضمائرهم وتكنه سرائركم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين ، وهو مجازيكم عليه في الدنيا بأن يريكم خلاف ما تأملون ، وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التي أنتم خالدون فيها لا محيد لكم عنها ، ولا خروج لكم منها . ثم قال تعالى : ﴿إن تمسكم حسنة تسوءهم وإن تصيبكم سيئة يفرحوا بها﴾ وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين ، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم ، ساء ذلك المنافقين ، وإن أصاب المسلمين سنة أي جذب أو أديب عليهم الأعداء ، لما لله تعالى في ذلك من الحكمة ، كما جرى يوم أحد - فرح المنافقون بذلك ، قال الله تعالى مخاطباً للمؤمنين ﴿وإن تصبروا وتنفقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾ الآية ؛ يرشدكم تعالى إلى السلامة عن شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم ، فلا حول ولا قوة لهم إلا به . وهو الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشئته ، ومن توكل عليه كفاه . ثم شرع تعالى في ذكر قصة أحد وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين ، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين وبيان الصابرين فقال تعالى :

وَإِذْ عَدُوٌّ مِنْ أَهْلِكَ ثُبُوتُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْلَعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ

تَفْسَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧٣﴾

المراد بهذه الوقعة يوم أحد عند الجمهور ؛ قال ابن عباس والحسن وقاتدة والسدي وغير واحد . وعن الحسن البصري : المراد بذلك يوم الأحزاب . ورواه ابن جرير ؛ وهو غريب لا يعول عليه . وكانت وقعة أحد يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة . قال قتادة : لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال . وقال عكرمة : يوم السبت للنصف من شوال ، قاله أعلم ؛ وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من أشرفهم يوم بدر وسلمت العير بما فيها من التجارة التي كانت مع أبي سفيان قال أبناء من قتل ، ورؤساء من بقي لأبي سفيان : ارصد هذه الأموال لقتال محمد فأنفقوها في ذلك ، فجمعوا الجموع والأحايش ، وأقبلوا في نحو من ثلاثة آلاف حتى نزلوا قريباً من أحد تلقاء المدينة ، فصلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، فلما فرغ منها صلى على رجل من بني النجار يقال له مالك بن عمرو ، واستشار رسول الله ﷺ الناس «أيخرج اليهم أم يمتك بالمدينة» ؛ فأشار عبد الله بن أبي بالمقام بالمدينة ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم ، وإرماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائنين وأشار آخرون من الصحابة ممن لم يشهد بدرًا بالخروج اليهم ، فدخل رسول الله ﷺ فلبس لامته وخرج عليهم ، وقد ندم بعضهم وقالوا : لعننا استكرهنا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله إن شئت أن نمكت ، فقال رسول الله ﷺ «ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يرجع حتى يحكم الله له» فسار ﷺ في ألف من أصحابه ، فلما كانوا بالشوط ، رجع عبد الله بن أبي بثلاث الجيش مغضباً لكونه لم يرجع إلى قوله ؛ وقال هو وأصحابه : لو تعلم اليوم قتلاً لاتبعناكم ، ولكننا لا نراكم تقاتلون . واستمر رسول الله ﷺ سائراً حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي . وجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال «لا يقاتل أحد حتى نأمره بالقتال» وتبأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه . وأمر على الزماعة عبد الله بن جبير أخا بني

عمر بن عوف . والرماة يومئذ خمسون رجلاً ، فقال لهم « انضحوا الخيل عنا ولا تؤتينا من قبلكم والزموا مكانكم إن كانت التوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتونا تحفظنا الطير فلا تبحروا مكانكم » وظهر رسول الله ﷺ بين درعين ، وأعطى اللواء مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار . وأجاز رسول الله ﷺ بعض الغلمان يومئذ وآخر آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من سنتين ، ونهياً قريش وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائة فرس قد جنبوها ، فجعلوا على مينة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، ودفعوا اللواء إلى بني عبد الدار ، ثم كان بين الفريقين ما سيأتي تفصيله في موضعه ، إن شاء الله تعالى ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ أي تنزلهم منازلهم ، وتجعلهم مينة وميسرة وحيث أمرتهم ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي سميع لما تقولون ، عليم بضمائركم . وقد أورد ابن جرير ههنا سؤالاً حاصله : كيف تقولون أن النبي ﷺ خرج إلى أحد يوم الجمعة بعد الصلاة وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ الآية ؟ ثم كان جوابه عنه أن غدوه لييوأهم مقاعد إنما كان يوم السبت أول النهار . وقوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ الآية ؛ قال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال : قال عمر : سمعت جابر بن عبد الله يقول : فينا نزلت ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ الآية ؛ قال : نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة . وما نحب . وقال سفيان مرة - وما يسرني أنها لم تنزل لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهَا ﴾ وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به . وكذا قال غير واحد من السلف : إنهم بنو حارثة وبنو سلمة . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرَ ﴾ أي يوم بدر ، وكان يوم الجمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ، ودفع فيه الشرك ، وخرب محله وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ ، فإنهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، فيهم فارسان وسبعون يعبراً ، والباقيون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه . وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبيض والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائد ، فأعز الله رسوله وأظهر وجهه وتنزله ، وبيض وجه النبي وقبيله ، وأخزى الشيطان وجيله ، ولهذا قال تعالى ممتناً على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرَ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ أي قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد ، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً - إِلَّا - غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن سماك ، قال : سمعت عياض الأشعري قال : شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء : أبو عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وابن حسنة ، وخالد بن الوليد ، وعياض - وليس عياض هذا الذي حدث سماكاً قال : وقال عمر : إذا كان قتالاً فعليكم أبو عبيدة ، قال : فكتبنا إليه أنه قد جاش إلينا الموت ، واستمددناه ، فكتب إلينا أنه قد جاءني كتابكم تستمدونني ، وإني أدلكم على من هو أعز نصراً ، وأحصن جنداً ، الله عز وجل فاستنصروه ، فإن محمداً ﷺ قد نصر في يوم بدر في أقل من عدتكم ، فإذا جاءكم كتابي هذا ، فقاتلوهم ولا تراجعوني ، قال : فقاتلناهم فهزمتهم أربع فراسخ ؛ قال : وأصبنا أموالاً فتشاورنا ، فأشار علينا عياض أن نعطي عن كل ذي رأس عشرة ، قال : وقال أبو عبيدة : من يراهنني ؟ قال شاب : أنا إن لم تغضب قال : فسبقه فأريت عقيصتي أبي عبيدة يفران وهو خلفه على فرس أعرابي ، وهذا إسناد صحيح ، وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث بندار عن غندر بنحوه ، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه ، وبدر : محلة بين مكة والمدينة تعرف ببئرها ، منسوبة إلى رجل حفرها ، يقال له : بدر ابن النارين ، قال الشعبي : بدر شر لرجل يسمى بدرأ ؛ وقوله ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴾ أي تقومون بطاعته .

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ رُبَّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

مُزَلِّينَ ﴿١٦٦﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٦٧﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٦٨﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا حَآبِيبِينَ ﴿١٦٩﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧١﴾

اختلف المفسرون في هذا الوعد ، هل كان يوم بدر أو يوم أحد ؟ على قولين [أحدهما] أن قوله : ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بقوله : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ وهذا عن الحسن البصري وعامر الشعبي والربيع بن أنس وغيرهم ، واختاره ابن جرير . قال عباد بن منصور عن الحسن في قوله : ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ قال : هذا يوم بدر ، رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا داود عن عامر يعني الشعبي ، أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين ، فشق ذلك عليهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ إلى قوله - مسومين - قال : فبلغت كرز الهزيمة ، فلم يمد المشركين ، ولم يمد الله المسلمين بالخمسة ؛ وقال الربيع بن أنس : أمد الله المسلمين بألف ، ثم صاروا ثلاثة آلاف ، ثم صاروا خمسة آلاف ، فإن قيل : فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول ، وبين قوله في قصة بدر : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمَدِّكُمْ بِالْفِئَةِ﴾ إلى قوله - إن الله عزيز حكيم - ؟ فالجواب أن التنصيص على الألف - ههنا - لا ينافي الثلاثة الآلاف فيما فوقها لقوله : ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بمعنى يردفهم غيرهم ، ويتبعهم ألوف آخر مثلهم . وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران ، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر والله أعلم . وقال سعيد بن أبي عروبة أمد المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف . [القول الثاني] - إن هذا الوعد متعلق بقوله : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ وذلك يوم أحد وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهري وموسى بن عقبة وغيرهم . لكن قالوا : لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف لأن المسلمين فروا يومئذ ؛ زاد عكرمة : ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى : ﴿يَلِيْ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بلك واحد . وقوله تعالى : ﴿وَيَأْتِيَكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ قال الحسن وقتادة والربيع والسدي : أي من وجههم هذا ، وقال مجاهد وعكرمة وأبو صالح : أي من غضبهم هذا . وقال الضحاك : من غضبهم ووجههم . وقال العوفي عن ابن عباس : من سفرهم هذا ، ويقال : من غضبهم هذا . وقوله تعالى : ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ أي معلمين بالسيف ، وقال أبو إسحاق السبيعي عن حارثة بن مضرب ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : كان سببا الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض ، وكان سببهم أيضا في نواصي خيولهم ، رواه ابن أبي حاتم . ثم قال : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا هبة بن خالد ، حدثنا حماد ابن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذه الآية ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال : بالعن الأحمر ، وقال مجاهد : ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أي محذقة أعرافها ، معلمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذناب الخيل . وقال العوفي ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : أتت الملائكة محمداً ﷺ ، مسومين بالصوف ، فسوم محمد وأصحابه أنفسهم وخيولهم على سببهم بالصوف . وقال قتادة وعكرمة ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أي بسبب القتال ؛ وقال مكحول : مسومين بالعمائم . وروى ابن مردويه من حديث عبد القدوس بن حبيب عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ في : ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال «معلمين» . وكان سببا الملائكة يوم بدر عمائم سود ، ويوم حنين عمائم حمراء . وروى من حديث حسين بن غارق عن سعيد ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر . وقال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : كان سببا الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراء . ولم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون عدداً ومعدداً يضربون ؛ ثم رواه عن الحسن بن عمار ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس فذكر نحوه . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الأحمسي ، حدثنا وكيع ، حدثنا هشام بن عروة عن يحيى ابن عباد أن الزبير رضي الله عنه ، كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجراً بها ، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفراء ، رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، فذكره . وقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ أي وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بإنزالهم إلا بشارة لكم وتطميناً لقلوبكم وتطميناً ، وإلا فإنما النصر من عند الله الذي لو شاء لاتنصر من أعدائه بدونكم ، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم ، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ لَكِن لِّيَلْبِسَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ سيدهم ويصلح بهم . ويدخلهم الجنة عرفها هم ؛ وهذا قال ههنا ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ أي هو ذو العزة التي لا ترام ، والحكمة في قدره والأحكام ، ثم قال تعالى : ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي أمركم بالجهاد والجلاد لما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير ، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة في الكفار المجاهدين ، فقال : ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أي ليهلك أمة ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَتَقَلَّبُوا﴾ أي يرجعوا ﴿خَائِبِينَ﴾ أي لم يحصلوا على ما أملوا . ثم اعترض بجملة دلت على أن الحكم في الدنيا والآخرة له

وحده لا شريك له ؛ فقال تعالى : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أي بل الأمر كله لي ، كما قال تعالى : ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ وقال ﴿ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء﴾ وقال ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ وقال محمد بن إسحاق في قوله : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم ، ثم ذكر بقية الأقسام ، فقال ﴿أو يتوب عليهم﴾ أي عما هم فيه من الكفر فيهديهم بعد الضلالة ﴿أو يعذبهم﴾ أي في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم ؛ ولهذا قال ﴿فإنكم ظالمون﴾ أي يستحقون ذلك . وقال البخاري : حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا معمر عن الزهري ، حدثني سالم عن أبيه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية من الفجر اللهم العن فلاناً وفلاناً بعدما يقول «سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله تعالى : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية وهكذا رواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو عقيل - قال أحمد : وهو عبد الله بن عقيل صالح الحديث ثقة - حدثنا عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول اللهم العن فلاناً وفلاناً ، اللهم العن الحارث بن هاشم ، اللهم العن سهيل بن عمرو ، اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴿فتيب عليهم﴾ وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية العلاءي ، حدثنا خالد بن الحارث ، حدثنا محمد بن عجلان عن نافع ، عن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة ، قال : فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ إلى آخر الآية ، قال : وهداهم الله للإسلام . قال البخاري : قال محمد بن عجلان عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : كان رسول الله يدعو على رجال من المشركين يسميهم بأسمائهم ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية ، وقال البخاري أيضاً : حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد ، أو يدعو لأحد ، قنت بعد الركوع وربما قال : إذا قال «سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها سنين كسني يوسف» يجر بذلك . وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر اللهم العن فلاناً وفلاناً لأحياء من أحياء العرب ، حتى أنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية .

وقال البخاري : قال حميد وثابت ، عن أنس بن مالك : شج النبي ﷺ يوم أحد ، فقال «كيف يفلح قوم شجوا نبينهم ؟» فنزلت ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ وقد أسند هذا الحديث الذي علقه البخاري في صحيحه ، فقال في غزوة أحد : حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا معمر عن الزهري ، حدثني سالم بن عبد الله بن أبيه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر اللهم العن فلاناً وفلاناً بعدما يقول «سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد» ؛ فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية . وعن حنظلة بن أبي سفيان قال : سمعت سالم بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام ؛ فنزلت ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴿هكذا ذكر هذه الزيادة البخاري معلقة مرسلة ، وقد تقدمت مستندة متصلة في مسند أحمد آنفاً .

وقام الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، كسرت ربايعته يوم أحد ، وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه ، فقال «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبينهم ، وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل ؟» فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴿انفرد به مسلم ، فرواه عن القعني ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، فذكره .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح : حدثنا الحسين بن واقد عن مطر ، عن قتادة ، قال : أصيب النبي ﷺ يوم أحد ، وكسرت ربايعته ، وفرق حاجبه ، وفرق وعليه درعان والدم يسيل ، فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح عن وجهه ، فأفاق وهو يقول «كيف بقوم فعلوا هذا بنبينهم ، وهو يدعوهم إلى الله عز وجل ؟» فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه ، ولم يقل : فأفاق . ثم قال تعالى : ﴿والله ما في السموات وما في الأرض﴾ الآية أي الجميع ملك له ، وأهلها عبيد بين يديه ﴿يفقر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ أي هو المتصرف فلا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون والله غفور رحيم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٢٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٢٤﴾
 ﴿١٢٥﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
 فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْفَظِيطَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا
 فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى
 مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٨﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا وَنَعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿١٢٩﴾

يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضغافاً مضاعفة كما كانوا في الجاهلية يقولون : إذا حل أجل الدين ، إما أن تقضي وإما أن تربى ، فإن قضاء ، وإلا زاده في المدة ، وزاده الآخر في القدر ، وهكذا كل عام فرجاً تضاعف القليل حتى يصير كثيراً مضاعفاً ، وأمر تعالى عباده بالتقوى لعلهم يفلحون في الأولى وفي الآخرة ، ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها ، فقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ثم نذبهم إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمصارعة إلى نيل القربات ، فقال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي كما أعدت النار للكافرين ، وقد قيل : إن معنى قوله عرضها السموات والأرض تنبيهاً على اتساع طولها ، كما قال في صفة فرش الجنة ﴿ بِطَائِفٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ أي فما ظنك بالظواهر ، وقيل : بل عرضها كطولها لأنها قبة فيه تحت العرش ، والشئ المقبب والمستدير عرضه كطوله ، وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح وإذا سألتهم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفها عرش الرحمن وهذه الآية كقوله في سورة الحديد ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية ؛ وقد روي في مسند الإمام أحمد أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال النبي ﷺ « سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار ؟ » وقد رواه ابن جرير فقال : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني مسلم بن خالد عن أبي خيثمة ، عن سعيد بن أبي راشد ، عن يعلى بن مرة ، قال : لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بجمص شيخاً كبيراً قد فسد ، فقال : قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل فتناول الصحيفة رجل عن يساره ، قال : قلت : من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا : معاوية ، فإذا كتاب صاحبي : إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ « سبحان الله ، فأين الليل إذا جاء النهار ؟ » وقال الأعمش وسفيان الثوري وشعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب : إن ناساً من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض ؛ فأين النار ؟ فقال لهم عمر : أرايتم إذا جاء النهار أين الليل ؟ وإذا جاء الليل أين النهار ؟ فقالوا : لقد نزعتم مثلها من التوراة ؛ رواه ابن جرير من ثلاثة طرق ؛ ثم قال : حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا جعفر بن برقان ، أنبأنا ابن الأصم : أن رجلاً من أهل الكتاب قال : يقولون ﴿ جنة عرضها السموات والأرض ﴾ فأين النار ؟ فقال ابن عباس رضي الله عنه : أين يكون الليل إذا جاء النهار ، وأين يكون النهار إذا جاء الليل ؟ وقد روي هذا مرفوعاً ، فقال البزار : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا المغيرة بن سلمة أبو هاشم ، حدثنا عبد الواحد بن زياد عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم ، عن عمه يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة ، قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : أرايت قوله تعالى : ﴿ جنة عرضها السموات والأرض ﴾ فأين النار ؟ قال : « أرايت الليل إذا جاء لبس كل شيء ، فأين النهار ؟ » قال : حيث شاء الله ، قال وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل ، وهذا يحتمل معنيين [أحدهما] أن يكون المعنى في ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار أن لا يكون في مكان ، وإن كنا لا نعلمه ، وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل ، وهذا أظهر كما تقدم في حديث أبي هريرة عن البزار . [الثاني] أن يكون المعنى أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب ، فإن الليل يكون من الجانب الآخر ، فكذلك الجنة في أعلى عليين فوق السموات والأرض تحت العرش وعرضها ، كما قال الله عز وجل ﴿ كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ والنار في أسفل سافلين فلا تنافي

بين كونها كعرض السموات والأرض بين وجود النار، والله أعلم .

ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنة فقال ﴿الذين يتفوقون في السراء والضراء﴾ أي في الشدة والرخاء والمنشط والمكره والصحة والمرض وفي جميع الأحوال ، كما قال ﴿الذين يتفوقون أمواهم بالليل والنهار سراً وعلائية﴾ والمعنى أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والانفاق في مراضيه والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر . قوله تعالى : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ أي إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه ، وعفوا مع ذلك عن أساء إليهم . وقد ورد في بعض الآثار ويقول الله تعالى يا ابن آدم اذكرني إذا غضبت ، أذكرك إذا غضبت فلا أهلكك فيمن أهلكه ؛ رواه ابن أبي حاتم ، وقد قال أبو يعلى في مسنده : حدثنا أبو موسى الزمن ، حدثنا عيسى بن شعيب الضرير أبو الفضل ، حدثني الربيع بن سليمان النيمري عن أبي عمرو بن أنس بن مالك ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ «من كف غضبه ، كف الله عنه عذابه ؛ ومن خزن لسانه ، ستر الله عورته ، ومن اعتذر إلى الله ، قبل الله عذره» وهذا حديث غريب ، وفي إسناده نظر . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا مالك عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال «ليس الشديد بالصرعة ، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» وقد رواه الشيخان من حديث مالك . وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله وهو ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله» قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه ، قال «اعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله ، مالك من مالك إلا ما قدمت ، وما لوارثك إلا ما أخرت» قال : وقال رسول الله ﷺ «ما تعدون الصرعة فيكم ؟» قلنا : الذي لا تصرعه الرجال . قال «لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب» . قال : وقال رسول الله ﷺ «أتدرون ما الرقوب ؟» قلنا : الذي لا ولد له . قال «لا ، ولكن الرقوب الذي لا يقدم من ولده شيئاً» أخرج البخاري الفصل الأول منه ، وأخرج مسلم أصل هذا الحديث ، من رواية الأعمش به .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة سمعت عروة بن عبد الله الجعفي يحدث عن أبي حصبة أو ابن أبي حصين ، عن رجل شهد النبي ﷺ يخطب ، فقال «أتدرون ما الرقوب ؟» قلنا : الذي لا ولد له . قال «الرقوب كل الرقوب الذي ولد له فمات ولم يقدم منهم شيئاً» قال «أتدرون من الصعلوك ؟» قالوا : الذي ليس له مال ؛ فقال النبي ﷺ «الصعلوك كل الصعلوك الذي له مال فمات ولم يقدم منه شيئاً» قال : ثم قال النبي ﷺ «ما الصرعة ؟» قالوا : الصريع الذي لا تصرعه الرجال ؛ فقال ﷺ «الصرعة كل الصرعة الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيصرع غضبه .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه ، عن الأحنف بن قيس ، عن عم له يقال له حارثة بن قدامة السعدي ، أنه سأل رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، قل لي قولاً يدفعني وأقلل عليّ لعلي أعيه ، فقال رسول الله ﷺ : «لا تغضب» فأعاد عليه حتى أعاد عليه مراراً كل ذلك يقول «لا تغضب» ؛ وهكذا رواه عن أبي معاوية عن هشام به ؛ ورواه أيضاً عن يحيى بن سعيد القطان عن هشام به ، أن رجلاً قال : يا رسول الله ، قل لي قولاً وأقلل عليّ لعلي أعقله ؛ فقال «لا تغضب» الحديث ، انفرد به أحمد .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رجل : يا رسول الله أوصني ، قال : «لا تغضب» . قال الرجل : فكفرت حين قال النبي ﷺ ما قال ، فإذا الغضب يجمع الشر كله ، انفرد به أحمد .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن أبي حرب بن أبي الأسود ، عن أبي الأسود ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كان يسقي على حوض له فجاء قوم فقالوا : أيكم يورد على أبي ذر . ويحسب شعرات من رأسه ؟ فقال رجل : أنا ، فجاء فأورد على الحوض فدقه ، وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقبل له : يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت ؛ فقال : إن رسول الله ﷺ قال لنا «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» ؛ ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل بإسناده إلا أنه وقع في روايته عن أبي حرب عن أبي ذر ، والصحيح ابن أبي حرب عن أبيه عن أبي ذر ، كما رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنا أبو وائل الصنعاني ، قال : كنا جلوساً عند عروة ابن حماد إذ دخل عليه رجل فكلمه بكلام أغضبه ، فلما أن أغضبه قام ثم عاد إلينا وقد توضأ ، فقال : حدثني أبي عن جدي عطية هو ابن سعد السعدي - وقد كانت له صعبة - قال : قال رسول الله «إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان

خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ ؛ وهكذا رواه أبو داود من حديث إبراهيم بن خالد الصنعاني عن أبي وائل القاص المرادي الصنعاني ، قال أبو داود : أراه عبد الله بن بحر .
[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا نوح بن معاوية السلمي ، عن مقاتل بن حيان ، عن عطاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ «من أنظر معسراً أو وضع عنه ، وقاه الله من فيح جهنم ، إلا إن عمل الجنة حزن بربوة - ثلاثاً - إلا إن عمل النهار سهل بسهولة . والسعيد من وفي الفتن ، وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد لله إلا ملا الله جوفه إيماناً ؛ انفرده به أحمد ، وإسناده حسن ليس فيه مجروح ، ومثته حسن .

[حديث آخر في معناه] - قال أبو داود : حدثنا ابن مكرم ، حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن بشر يعني ابن منصور ، عن محمد بن عجلان ، عن سويد بن وهب ، عن رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ ، عن أبيه ؛ قال : قال رسول الله ﷺ «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفعه ، ملا الله جوفه أمناً وإيماناً ؛ ومن ترك لبس ثوب جمال وهو قادر عليه - قال بشر : أحسبه قال : من تواضع لله ألبسه الله حلة الكرامة ومن توجَّه لله كساه الله تاج الملك» .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا بن عبد الله بن يزيد قال : حدثنا سعيد ، حدثني أبو مرحوم عن سهل ابن معاذ بن أنس ، عن أبيه أن رسول الله قال «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفعه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الجور شاء» ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سعيد بن أبي أيوب به ، وقال الترمذي : حسن غريب .

[حديث آخر] - قال عبد الرزاق : أنبأنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم ، عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل ، عن عم له ، عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أن النبي ﷺ قال : «من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملا الله جوفه أمناً وإيماناً» .

[حديث آخر] - قال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن محمد بن زياد ، أنبأنا يحيى بن أبي طالب ، أنبأنا علي بن عاصم ، أخبرني يونس بن عبيد عن الحسن ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ «ما يخرج عبد من جرعة أفضل أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله» ورواه ابن جرير ، وكذا رواه ابن ماجه عن بشر بن عمر ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس بن عبيد به ، فقله تعالى : ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أي لا يعملون غضبهم في الناس بل يكفون عنهم شرهم ، ويمتنعون ذلك عند الله عز وجل . ثم قال تعالى : ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ أي مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد ، وهذا أكمل الأحوال ، ولهذا قال «والله يحب المحسنين» فهذا من مقامات الاحسان ؛ وفي الحديث وثلاث أقسم عليهن : ما نقص من مال من صدقة ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، ومن تواضع لله رفعه الله ؛ وروى الحاكم في مستدركه من حديث موسى ابن عقبة عن إسحاق بن يحيى بن أبي طلحة القرشي ، عن عبادة بن الصامت ، عن أبي بن كعب أن رسول الله ، قال : «من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات ، فليعف عمن ظلمه ، ويعط من حرمه ، ويصل من قطعه» ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه وقد أورده ابن مردويه من حديث علي وكعب بن عجرة وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم بنحو ذلك . وروي عن طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول : أين العافون عن الناس ؟ هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم ، وحق على كل امرئ مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة» وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ أي إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار . قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا همام بن يحيى عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ عن النبي ﷺ قال «إن رجلاً أذنب ذنباً فقال : رب إني أذنبت ذنباً فاغفره لي ؛ فقال الله عز وجل : عبيدي عمل ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ؛ ثم عمل ذنباً آخر فقال : رب إني عملت ذنباً فاغفره لي ؛ فقال عز وجل : علم عبيدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ؛ ثم عمل ذنباً آخر فقال : رب إني عملت ذنباً فاغفره لي ؛ فقال الله عز وجل : علم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، أشهدكم أنني غفرت لعبدي فليعمل ما شاء» أخرجاه في الصحيحين من حديث إسحاق ابن أبي طلحة بنحوه .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر وأبو عامر ، قالوا : حدثنا زهير ، حدثنا سعد الطائي ، حدثنا أبو

المدله مولى أم المؤمنين ، سمع أبا هريرة ، قلنا : يا رسول الله ، إذا رأيتك رقت قلوبنا ، وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارتناك أعجبتنا الدنيا ، وشممتنا النساء والأولاد ، فقال : لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي كنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكنفهم ، ولزارتكم في بيوتكم . ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم . قلنا : يا رسول الله ، حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : ولبة ذهب ولبة فضة ، وملاظها المسك الأذفر ، وحصابؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا يبأس ، ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول له الرب : وعزتي لأنصرتك ولو بعد حين ؛ ورواه الترمذي وابن ماجة من وجه آخر من حديث سعد به ، ويتأكد الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة لما رواه الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا وكيع ، حدثنا مسعر وسفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقفي ، عن علي بن ربيعة ، عن أسماء بن الحكم الفزاري عن علي رضي الله عنه ، قال : كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ، نفعتني الله بما شاء منه . وإذا حدثني عنه غيره استحلفت ، فإذا حلف لي صدقته ، وإن أبا بكر رضي الله عنه حدثني - وصدق أبو بكر - أنه سمع رسول الله ﷺ ، قال : « ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ ويحسن الوضوء - قال مسعر - فيصلي - وقال سفيان - ثم يصلي ركعتين ، فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له » وهكذا رواه علي بن المديني والحسين بن علي بن بكر ابن أبي شيبة وأهل السنن وابن حبان في صحيحه والبخاري والدارقطني من طرق عن عثمان بن المغيرة به ؛ وقال الترمذي : هو حديث حسن ، وقد ذكرنا طرقه ؛ والكلام عليه مستقصى في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبالجملة فهو حديث حسن وهو من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن خليفة النبي ﷺ أبي بكر رضي الله عنهما ، ولم يشهد لصحة هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيلغ - أو فيسبغ - الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضأ لهم وضوء النبي ﷺ ، ثم قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه » فقد ثبت هذا الحديث من رواية الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، عن سيد الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، كما دل عليه الكتاب المبين ، من أن الاستغفار من الذنب ينفع العاصين ، وقد قال عبد الرزاق : أنبأنا جعفر بن سليمان عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : بلغني أن إبليس حين نزلت هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية ؛ بكى . وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا حمز بن عون ، حدثنا عثمان بن مطر ، حدثنا عبد الغفور عن أبي نضرة ، عن أبي رجاء ، عن أبي بكر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : « عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار ، فأكثروا منها ، فإن إبليس قال : أهلك الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء ، فهم يحسبون أنهم مهنتون » عثمان بن مطر وشيخه ضعيفان . وروى الإمام أحمد في مسنده من طريق عمرو بن أبي عمرو وأبي الهيثم المتواري عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « قال إبليس : يا رب وعزتك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » . وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد ابن المنثي ، حدثنا عمر بن خليفة ، سمعت أبا بدر يحدث عن ثابت ، عن أنس ، قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ، إني أذنبت ذنباً ، فقال رسول الله ﷺ : « إذا أذنبت فاستغفر ربك . قال : فإني أستغفر ثم أعود فأذنب . قال : فإذا أذنبت فعد فاستغفر ربك ، فقالها في الرابعة ؛ وقال : استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور » وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أي لا يغفرها أحد سواه ؛ كما قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا سلام بن مسكين والبارك عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ أتى بأسير ، فقال : اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد ؛ فقال النبي ﷺ : « عرف الحق لأهله » وقوله ﴿ وَلَمْ يَصْرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب ، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها ، ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه ؛ كما قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل وغيره ، قالوا : حدثنا أبو يحيى عبد الحميد الحماني عن عثمان بن واقد ، عن أبي نضرة ، عن مولى لأبي بكر ، عن أبي بكر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة » ورواه أبو داود والترمذي والبزار في مسنده من حديث عثمان بن واقد - وقد وثقه يحيى بن معين به - وشيخه أبو نصر المقاسطي واسمه سالم بن عبيد ، وثقه الإمام أحمد وابن حبان ، وقول علي بن المديني والترمذي : ليس إسناد هذا الحديث بذلك ، فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر ، ولكن

جهالة مثله لا تضر لأنه تابعي كبير ، ويكفيه نسبه إلى أبي بكر ، فهو حديث حسن ، والله أعلم . وقوله ﴿وهم يعلمون﴾ وقال مجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمر ﴿وهم يعلمون﴾ أن من تاب تاب الله عليه ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ وكقوله ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ ونظائر هذا كثيرة جداً . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا جرير ، حدثنا حبان هو ابن زيد الشرعي عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر «ارحوا ترحوها ، واغفروا يغفر لكم ، ويل لاقماع القول ، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون» تفرد به أحمد . ثم قال تعالى بعد وصفهم بما وصفهم به ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم﴾ أي جزاؤهم على هذه الصفات «مغفرة من ربهم وجنت تجري من تحتها الأنهار» أي من أنواع المشروبات «خالدين فيها» أي ماكثين فيها «ونعم أجر العاملين» يمدح تعالى الجنة .

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ

﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ

حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ

قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

يقول تعالى مخاطباً عباده المؤمنين لما أصيبوا يوم أحد وقتل منهم سبعون ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ أي قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من اتباع الأنبياء ، ثم كانت العاقبة لهم ، والدائرة على الكافرين ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ ثم قال تعالى : ﴿هذا بيان للناس﴾ يعني القرآن فيه بيان الأمور على جليتها وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم ﴿وهدى وموعظة﴾ يعني القرآن فيه خبر ما قبلكم ، وهدى لقلوبكم ، وموعظة أي زاجر عن المحارم والمأثم . ثم قال تعالى مسلماً للمؤمنين ﴿ولا تهنوا﴾ أي لا تضعفوا بسبب ما جرى ﴿ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ ان كنتم مؤمنين ﴿أي العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون﴾ أن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴿أي ان كنتم قد أصابكم جراح وقتل منكم طائفة ، فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح﴾ وتلك الأيام ندواؤها بين الناس ﴿أي نديل عليكم الأعداء تارة ، وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة ، ولهذا قال تعالى : ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ قال ابن عباس : في مثل هذا لئرى من يصبر على مناجزة الأعداء ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ يعني يقتلون في سبيله ويبدلون مهجهم في مرضاته ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ وليمحص الله الذين آمنوا ﴿أي يكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب . والا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به . وقوله ﴿ويمحق الكافرين﴾ أي فإنهم إذا ظفروا بغوا ويطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحققهم وفنائهم ، ثم قال تعالى : ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ أي حسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد ، كما قال تعالى في سورة البقرة ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ الآية ، ولهذا قال ههنا ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ أي لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله ، والصابرين على مقاومة الأعداء . وقوله ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ أي قد كنتم أيها المؤمنون قبل هذا اليوم ، تمنون لقاء العدو وتحترقون عليه ، وتودون مناجزتهم ومصابرتهم ، فما قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه ، فدوكنكم فقاتلوا وصابروا . وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «لا تمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العاقبة ، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ولهذا قال تعالى : ﴿فقد رأيتموه﴾ يعني الموت شاهدتموه وقت حد الأسنة واشتباك الرماح وصفوف الرجال للقتال والتكلمون يعبرون عن هذا بالتخييل . وهو مشاهدة ما ليس بمحسوس كالمحسوس كما تتخييل الشاة صداقة الكبش ، وعداوة الذئب .

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ

أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٥٨﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ اللَّهِ نُؤْتِيهِ مِنْهُنَّ وَأَسْتَجِزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلْنَا مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ ﴿١٦١﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ ﴿١٦٢﴾

لما انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم ، نادى الشيطان : ألا إن محمداً قد قتل ، ورجع ابن قمئة الى المشركين ، فقال لهم : قتلتم محمداً ، وإنما كان قد ضرب رسول الله فشجه في رأسه ، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قتل ، وجوزوا عليه ذلك ، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام ، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال ، ففي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه ، قال ابن أبي نجيج عن أبيه : أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشطح في دمه فقال له : يا فلان أشعرت أن محمداً ﷺ قد قتل ، فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قتل فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم ، فنزل ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة . ثم قال تعالى منكراً على من حصل له ضعف ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ أي رجعتم القهقري ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ أي الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه ، واتبعوا رسوله حياً وميتاً . وكذلك ثبت في الصحاح والمساند والسنن وغيرها من كتب الاسلام من طرق متعددة تفيد القطع ، وقد ذكرت ذلك في مسندي الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن الصديق رضي الله عنه ، تلا هذه الآية لما مات رسول الله ﷺ . وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب ، أخبرني أبو سلمة أن عائشة رضي الله عنها ، أخبرته أن أبا بكر رضي الله عنه ، أقبل على فرس من مسكنه بالسنع حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فتييم رسول الله ﷺ وهو مغطى بثوب حبرة : فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها ؛ وقال الزهري : وحدثني أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس وقال : اجلس يا عمر ؛ قال أبو بكر : أما بعد من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . قال الله تعالى : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ - إلى قوله - وسيجزي الله الشاكرين﴾ قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبو بكر ، فتلاها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها ، وأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ففرقت حتى ما تقلني رجلاي ، وحتى هويت الى الأرض . وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد ، حدثنا أسباط بن نصر عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن علياً كان يقول في حياة رسول الله ﷺ ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ والله لا تنقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت ، والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه ، فمن أحق به مني ؟ وقوله تعالى : ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ أي لا يموت أحد إلا بقدر الله وحتى يستوفي المدة التي ضربه الله له ، ولهذا قال ﴿كتاباً مؤجلاً﴾ كقوله ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ وكقوله ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده﴾ وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال ، فإن الاقدام والاحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه ، كما قال ابن أبي حاتم : حدثنا العباس بن يزيد العبدى قال : سمعت أبا معاوية عن الأعمش عن حبيب بن ظبيان ، قال : قال رجل من المسلمين وهو حجر بن عدي : ما يمنعكم أن تعبروا الى هؤلاء العدو هذه النطفة - يعني دجلة ما كان لنفس أن تموت إلا

بإذن الله كتاباً موجلاً ؟ ثم أقحم فرسه دجلة ، فلما أقحم ، أقحم الناس ، فلما رآهم العدو قالوا : ديوان فهربوا . وقوله ﴿ ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾ أي من كان عمله للدنيا فقط ناله منها ما قدره الله له ، ولم يكن له في الآخرة نصيب ، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها وما قسم له في الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ وقال تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ﴾ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . ولهذا قال ههنا ﴿ وسنجزي الشاكرين ﴾ أي سنعطيه من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم ؛ ثم قال تعالى مسلماً للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أحد ﴿ وكأين من نبي قاتل ومعه ربيون كثير ﴾ قيل : معناه كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير . وهذا القول هو اختيار ابن جرير فإنه قال : وأما الذين قرأوا ﴿ قتل معه ربيون كثير ﴾ فإنهم قالوا : إنما عني بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم ، وإنما نفى الوهن والضعف عن بقي من الربيين ممن لم يقتل ، قال : ومن قرأ قاتل فإنه اختار ذلك ، لأنه قال : لو قتلوا لم يكن لقول الله ﴿ فلما وهنوا ﴾ وجه معروف لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا ؛ ثم اختار قراءة من قرأ ﴿ قتل معه ربيون كثير ﴾ لأن الله عاتب بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن عمداً قد قتل ، فعذبهم الله على فرارهم وتركهم القتال ، فقال لهم ﴿ أفإن مات أو قتل ﴾ أي المؤمنون ارتددتم عن دينكم ﴿ انقلبتم على أعقابكم ﴾ وقيل : وكم من نبي قتل بين يديه من أصحابه ربيون كثير ، وكلام ابن اسحاق في السيرة يقتضي قولاً آخر ، فإنه قال : وكأين من نبي أصابه القتل ومعه ربيون أي جماعات فها وهنوا بعد نبههم ، وما ضعفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك الصبر ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ فجعل قوله ﴿ معه ربيون كثير ﴾ حالاً ، وقد نصر هذا القول السهلي . وبالغ فيه ، وله اتجاه لقوله ﴿ فلما وهنوا لما أصابهم ﴾ الآية ، وكذا حكاها الأموي في مغازيه عن كتاب محمد بن إبراهيم ولم يحك غيره ، وقرأ بعضهم ﴿ قاتل معه ربيون كثير ﴾ أي ألف ، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والسدي والربيع وعطاء الخراساني : الربيون الجموع الكثيرة وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن ﴿ ربيون كثير ﴾ أي علماء كثير ، وعنه أيضاً : علماء صبر أي إبرار وأتقياء . وحكى ابن جرير عن بعض نحاة البصرة ان الربيين هم الذين يعبدون الرب عز وجل ، قال : ورد بعضهم عليه فقال : لو كان كذلك لقليل : الربيون بفتح الراء ؛ وقال ابن زيد : الربيون الاتباع والرية ، والربابيون الولاة . ﴿ فلما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ﴾ قال قتادة والربيع بن أنس ﴿ وما ضعفوا ﴾ بقتل نبههم ﴿ وما استكانوا ﴾ يقول : فما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم ان قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله ؛ وقال ابن عباس ﴿ وما استكانوا ﴾ تخشعوا ، وقال ابن زيد : وما ذلوا لعدوهم ؛ وقال محمد بن اسحاق والسدي وقتادة : أي ما أصابهم ذلك حين قتل نبههم ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، أي لم يكن لهم هجير إلا ذلك فاتاهم الله ثواب الدنيا ، أي النصر والظفر والعاقبة ﴿ وحسن ثواب الآخرة ﴾ أي جمع لهم ذلك مع هذا ﴿ والله يحب المحسنين ﴾

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذِلُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨١﴾

بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٨٢﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ

مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَهُمْ الشَّارُؤُ بِشَئِئِ مَنَوى الظَّالِمِينَ ﴿١٨٣﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ

وَعْدَهُ ۖ إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ

مَأْثُجُونَ ۖ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٤﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكْلُوبُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ

وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ فَأَتْبَعَكُمْ خِيفَةً لَّعَلَّكُمْ تَحْزَنُونَ ۚ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ

وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٥﴾

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين ، فإن طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿إِنْ طَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ثم أمرهم بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه ؛ فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُونَ آلَ فِرْعَوْنَ وَمِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ إِنَّهُمْ يَبْنُونَ صُورًا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ وَسِدْرَةُ الْجُنَّةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْيُنَ النَّاسِ وَمِمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ثم بشرهم بأنه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم ، مع ما ادخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنكال ؛ فقال ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِشْءٍ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ﴾ وقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله قال : «أعطيت خساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة يبعثني إلى الناس عامة» وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي عن سليمان التيمي عن سيار عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال «فضلني الله على الأنبياء - أوقال على الأمم - بأربع : أرسلت إلى الناس كافة ، وجعلت لي الأرض كلها ولأمتي مسجداً وطهوراً فأبينا أدركت رجلاً من أمتي الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذف في قلوب أعدائي ، وأحلت لي الغنائم» . ورواه الترمذي من حديث سليمان التيمي عن سيار القرشي الأموي مولاهم الدمشقي سكن البصرة ، عن أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه به ؛ وقال : حسن صحيح . وقال سعيد بن منصور : أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «نصرت بالرعب على العدو» ؛ ورواه مسلم من حديث ابن وهب . وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة ، عن أبيه أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خساً : بعثت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة ، وليس من نبي إلا وقد سأل الشفاعة وإنني قد اختبأت شفاعة لمن مات لا يشرك بالله شيئاً» تفرد به أحمد . وروى العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قال : قذف الله في قلب أبي سفيان الرعب فرجع إلى مكة ، فقال النبي ﷺ : «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً ، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب» رواه ابن أبي حاتم . وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ قال ابن عباس : وعدهم الله النصر ، وقد يستدل بهذه الآية على أحد القولين المتقدمين في قوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمْدِدَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ﴾ بل إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . أن ذلك كان يوم أحد ، لأن عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل ، فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام ، فلما حصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة ، تأخر الوعد الذي كان مشروطاً بالثبات والطاعة ؛ ولهذا قال ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي أول النهار ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ﴾ أي تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي بتسليطه إياكم عليهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ وقال ابن جريج : قال ابن عباس : الفشل الجبن ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ كما وقع للرماة من بعد ما أراكم ما تحبون وهو الظفر بهم ﴿مَنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا﴾ وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة ﴿وَمَنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ ثم صرفكم عنهم ليتليكم ثم أداهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ أي غفر لكم ذلك الصنيع ، وذلك ، والله أعلم ؛ لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة عدد المسلمين وعددهم ، قال ابن جريج : قوله ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ قال : لم يستأصلكم ، وكذا قال محمد بن إسحاق : رواهما ابن جرير ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس أنه قال : ما نصر الله النبي ﷺ في موطن كما نصره يوم أحد ، فأنكرنا ذلك ، فقال ابن عباس : بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله ، إن الله يقول في يوم أحد ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحْبُونَ﴾ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة الآية ، وإنما عني بهذا الرماة ، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع وقال : احموا ظهورنا ، فإن رأيتُمونا نقتل فلا تتصرونا ، وإن رأيتُمونا نغنم فلا تشركونا فلما غنم النبي ﷺ ، وأناخا عسكر المشركين ، أكب الرماة جميعاً في العسكر ينهبون ؛ ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فيهم هكذا - وشبك بين يديه - وانتشبا ، فلما أدخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها ، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ ، يضرب بعضهم بعضاً ، والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان النصر لرسول الله ﷺ أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المشركون جولة نحو الجبل ، ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار ، إنما كانوا تحت المهرام ، وصاح الشيطان : قتل محمد ، فلم يشكوا به أنه حق ، فلا زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين نعرفه بكفيه إذا مشى ، قال : ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا ، قال : فرقي نحونا وهو يقول : «اشتد

غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله ويقول مرة أخرى : «ليس لهم أن يعلنوا» حتى انتهى إلينا فمكث ساعة ، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل أعل هبل - مرتين يعني إلهه - أي ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله ألا أجيبه ؟ قال «بل» . فلما قال : أعل هبل . قال عمر : الله أعلى وأجل . فقال أبو سفيان : قد أنعمت . قال : عنها . فقال أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله ﷺ ، وهذا أبو بكر ، وهذا أنا عمر . قال : فقال أبو سفيان ، يوم بيوم بدر ، الأيام دول ، وإن الحرب سجال ، قال : فقال عمر : لا سواء قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار . قال : إنكم تزعمون ذلك ، فقد خبتنا وخسرتنا إذن ؟ فقال أبو سفيان : إنكم ستجدون في قتلاكم مثلاً ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا . قال : ثم أدركته حمية الجاهلية ، فقال : أما أنه إن كان ذلك لم نكرهه ، هذا حديث غريب وسياق عجيب ، وهو من مراسلات ابن عباس ، فإنه لم يشهد أحداً ولا أبوه ، وقد أخرجها الحاكم في مستدركه عن أبي النضر الفقيه ، عن عثمان بن سعيد ، عن سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس به ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سليمان بن داود الهاشمي به . ولبعضه شواهد في الصحاح وغيره - فقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن عطاء بن السائب ، عن الشعبي ، عن ابن مسعود ، قال : إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين ، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر أنه ليس منا أحد يريد الدنيا ، حتى أنزل الله ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ فلما خالف أصحاب رسول الله ﷺ ، وعصوا ما أمروا به ، أفرد النبي ﷺ في تسعة : سبعة من الأنصار ، ورجلين من قريش ، وهو عاشرهم ﷺ ، فلما أرهقوه قال : «رحم الله رجلاً ردهم عنه» قال : فقام رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتى قتل ، فلما أرهقوه أيضاً قال «رحم الله رجلاً ردهم عنه» فلم يزل يقول ذلك حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : «ما أنصف أصحابنا» فجاء أبو سفيان فقال : أعل هبل ؟ فقال رسول الله ﷺ : «قولوا : الله أعلى وأجل» فقالوا : الله أعلى وأجل . فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال رسول الله ﷺ : «قولوا : الله مولانا والكافرون لا مولى لهم» فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، فيوم علينا ويوم لنا ، ويوم نساء ويوم نسر ، حنظلة بحنظلة وفلان بفلان . فقال رسول الله ﷺ : «لا سواء : أما قتلانا فأحياء يرزقون ، وأما قتلاكم ففي النار يعذبون» فقال أبو سفيان : لقد كان في القوم مثلة ، وإن كانت لمن غير ملاسنا ما أمرت ولا نهيت ، ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءني ولا سرنني ؛ قال : فنظروا فإذا حزة قد بقر بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها . فقال رسول الله ﷺ : «أكلت شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : «وما كان الله ليدخل شيئاً من حزة في النار» قال : فوضع رسول الله ﷺ حزة فصلى عليه ، وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه ، ورفع الأنصاري وترك حزة حتى جيء بآخر فوضع إلى جنب حزة فصلى عليه ، ثم رفع وترك حزة ، حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة ، تفرد به أحمد أيضاً . وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير ، وقال «لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهوروا علينا فلا تعينونا» فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن ، قد بدت خلاخلهن ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة . فقال عبد الله بن جبير : عهد إلي النبي ﷺ أن لا تبرحوا فأبوا ، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً ، فأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال «لا تحببوه» . فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ قال «لا تحببوه» . فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا . فلم يملك عمر نفسه فقال له : كذبت يا عدو الله أبقى الله ما يحزنك ، قال أبو سفيان : أعل هبل . فقال النبي ﷺ : «أجيبوه» قالوا : ما نقول ؟ قال : «قولوا : الله أعلى وأجل» . قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي ﷺ : «أجيبوه» قالوا : ما نقول ؟ قال «قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم» . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ؛ وستجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤني ؛ تفرد به البخاري من هذا الوجه ؛ ثم رواه عن عمرو بن خالد عن زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بنحوه ؛ وسياقي أبسط من هذا - وقال البخاري أيضاً : حدثنا عبد الله بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان يوم أحد هزم المشركون ، فصرخ إبليس : أي عباد الله أخراكم ، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم ، فبصر حذيفة ، فإذا هو بأبيه اليمان فقال : أي عباد الله أبي أبي . قال : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه ؛ فقال حذيفة : يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله عز وجل . وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن جده أن الزبير بن العوام قال : والله لقد رأيته أنظر إلى خدم هند وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن كثير ولا قليل ،

ومالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب ، واخلوا ظهورنا للخيل ، أوتينا من أدبارنا ، وصرخ صارخ : ألا أن محمداً قد قتل ، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم . قال محمد بن إسحاق : فلم يزل لواء المشركين صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش ففلأوا بها . وقال السدي ، عن عبد خير ، عن علي بن عبد الله بن مسعود ، قال : ما كنت أرى أن أحداً من أصحابه رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) وقد روي من غير وجه عن ابن مسعود ، وكذا روي عن عبد الرحمن بن عوف وأبي طلحة ، رواه ابن مردويه في تفسيره ، وقوله تعالى : ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ قال ابن إسحاق : حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أحد بني عدي بن النجار ، قال : انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما بأيديهم ؛ فقال : ما يخليكم ؟ فقالوا : قتل رسول الله ﷺ ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ؛ ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه - وقال البخاري : حدثنا حسان بن حسان ، حدثنا محمد بن طلحة ، حدثنا حميد عن أنس بن مالك أن عمه يعني أنس بن النضر ، غاب عن بدر فقال : غبت عن أول قتال النبي ﷺ لئن أشهدني الله مع رسول الله ليرين الله ما أجد ، فلقني يوم أحد فهزم الناس ، فقال : اللهم إني أعوذ إليك عما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبأ إليك عما جاء به المشركون ؛ فتقدم بسيفه فلقني سعد بن معاذ ، فقال : أين يا سعد إني أجد ريع الجنة دون أحد ، فمضى فقتل ، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو بينانه ، وبه بضع وثمانون من طلعة وضربة ورمية بسهم ، هذا لفظ البخاري ؛ وأخرجه مسلم من حديث ثابت بن أنس بنحوه - وقال البخاري أيضاً : حدثنا عبدان ، حدثنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب ، قال : جاء رجل حج البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء قریش . قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر ، فأتاه فقال : إني سائلك عن شيء فحدثني ؛ قال : سل ؛ قال : أشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال : نعم . قال : فتعلم تغيب عن بدر فلم يشهدا ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا ؟ قال : نعم . ففكر ، فقال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة ، فقال له رسول الله ﷺ : «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه» وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث عثمان ، فكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي ﷺ بيده اليمنى : «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال : «هذه يد عثمان اذهب بها الآن معك» ثم رواه البخاري من وجه آخر على أبي عوانة ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب .

وقوله تعالى : ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾ أي صرفكم عنهم إذ تصعدون أي في الجبل هاربين من أعدائكم . وقرأ الحسن وقتادة ﴿إذ تصعدون﴾ أي في الجبل ﴿ولا تلوون على أحد﴾ أي وأنتم لا تلوون على أحد من الدهش والخوف والرعب ﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ أي وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء ، وإلى الرجعة والعودة والكرّة . قال السدي : لما اشتد المشركون على المسلمين بأحد فهزمهم دخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها . فجعل الرسول ﷺ يدعو الناس ﴿إني عباد الله ، إني عباد الله﴾ فذكر الله صمودهم إلى الجبل ، ثم ذكر دعاء النبي ﷺ إياهم ، فقال ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾ والرسول يدعوكم في أخراكم . وكذا قال ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد . وقال عبد الله بن الزبير : يذكر هزيمة المسلمين يوم أحد في قصيدته وهو مشرك بعد لم يسلم التي يقول في أولها :

يا غراب البين أسمعت فقل إن للخير وللشر مدى
إنما تنطق شيئاً قد فعل وكل ذلك وجه وقبل
إلى أن قال :

ليت أشياخي ببدر يشهدوا حين حلت بقباء بركها
ثم خفوا عند ذاكم رقصاً فقتلنا الضعف من أشرافهم
جزع الخزرج من وقع الأسل واستحر القتل في عبد الأشل
رقص الحفان يعلو في الجبل وعدلنا ميل بدر فاعتدل
الحفان : صغار النعم . وقد كان النبي ﷺ قد أفرد في اثني عشر رجلاً من أصحابه كما قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، قال : جعل رسول الله ﷺ على

الرامة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير قال : ووضعهم موضعاً ، وقال «إن رأيتمونا تخطفنا الطير ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم» قال : فهزموهم ، قال : فلقد رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت أسواقهن وخلخلهن رافعات ثيابهن ، فقال أصحاب عبد الله : الغنيمة ، أي قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قاله لكم رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : إنا والله لنأتين الناس ، فلنصيب من الغنيمة . فلما أتوهم صرقت وجوههم فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذي يدعوهم الرسول في آخرهم ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً ، فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين ، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً . قال أبو سفيان : أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ؟ - ثلاثاً - قال . فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب ؟ أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتوهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدو الله ، إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد أبقي الله لك ما يسوؤك ، فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال . إنكم ستجدون في القوم مثله لم أمر بها ، ولم تسؤني . ثم أخذ يرتجز يقول : اعل هبل اعل هبل ، فقال رسول الله ﷺ «ألا تحييهو ؟» قالوا : يا رسول الله ، ما نقول ؟ قال «قولوا الله أعل وأجل» قال : لنا العزى ولا عزى لكم . قال رسول الله ﷺ «ألا تحييهو ؟» قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم» وقد رواه البخاري من حديث زهير بن معاوية مختصراً ، ورواه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق بأبسط من هذا كما تقدم ، والله أعلم - وروى البيهقي في دلائل النبوة من حديث عمارة بن غزية ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد ، وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار ، وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون ، فقال «ألا أحد هؤلاء» فقال طلحة : أنا يا رسول الله ، فقال «كيا أنت يا طلحة» ، فقال رجل من الأنصار : فأننا يا رسول الله ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ، ثم قتل الأنصاري فلحقوه ، فقال «ألا رجل هؤلاء» فقال طلحة مثل قوله : فقال رسول الله ﷺ مثل قوله ، فقال رجل من الأنصار : فأننا يا رسول الله ، فقاتل عنه وأصحابه يصعدون ، ثم قتل فلحقوه . فلم يزل يقول مثل قوله الأول ، فيقول طلحة : فأننا يا رسول الله ، فيحبسه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال ، فيأذن له ، فيقاتل مثل من كان قبله ، حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوها ، فقال رسول الله ﷺ «من هؤلاء» فقال طلحة : أنا ، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله ، وأصيبت أنامله ، فقال حسن ؛ فقال رسول الله ﷺ «لو قلت باسم الله وذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء» ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون . وقد روى البخاري عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ ، يعني يوم أحد - وفي الصحيحين من حديث معتمر بن سليمان عن أبيه ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : لم يبق مع رسول الله ﷺ ، في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها رسول الله ﷺ ، إلا طلحة بن عبيد الله وسعد بن حديشة . وقال الحسن بن عرفة : حدثنا مروان بن معاوية ، عن هشام بن هشام الزهري ، قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نزل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد وقال «ارم فذاك أبي وأمي» ، وأخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد ، عن مروان بن معاوية ، وقال محمد بن إسحاق : حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد ، عن سعد بن أبي وقاص ، أنه رمى يوم أحد دون رسول الله ﷺ ، قال سعد : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النبل ويقول «ارم فذاك أبي وأمي» حتى إنه لناولني السهم ليس له نصل فأرمي به - وثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ ، وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده ، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام - وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد وثابت عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ، واثني من قريش ، فلما أرهقوه قال «من يردهم عنا وله الجنة - أو هو رفيقي في الجنة» فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل ، ثم أرهقوه أيضاً ، فقال «من يردهم عنا وله الجنة» فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه «ما أنصفنا أصحابنا» رواه مسلم عن هذبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به نحوه . وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير ، قال : كان أبي بن خلف أخو بني جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته ، قال «بل أنا أقتله إن شاء الله» فلما كان يوم أحد ، أقبل أبي في الحديد مقنعاً وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد ، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار ، بقي رسول الله ﷺ بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف ، من فرجة بين

سابقة الدرع والبيضة وطعنه فيها بحريته ، فوقع إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم ، فأثابه أصحابه فاحتملوه وهو ينحور خوار الثور ، فقالوا له : ما أجزعك إنما هو خدش ؟ فذكر لهم قول رسول الله ﷺ «بل أنا أقتل أبياء» ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي ، بأهل ذي المجاز لما أتوا أجمعون ، فمات إلى النار ﴿فلسحقا لأصحاب السعير﴾ وقد رواه موسى بن عتبة في مغازيه ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب بنحوه - وذكر محمد بن إسحاق ، قال : لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب ، أدركه أبي بن خلف وهو يقول : لا نجوت إن نجوت ، فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا ، فقال رسول الله ﷺ «دعوه» فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، فقال بعض القوم كما ذكر لي ، فلما أخذها رسول الله ﷺ منه ، قطعته في عنقه طعنة تداداً منها عن فرسه مراراً - وذكر الواقدي عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمرو بن قتادة ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، نحو ذلك . وقال الواقدي : وكان ابن عمر يقول مات أبي بن خلف بيطن رايع ، فإني لأسير بيطن رايع بعد هوى من الليل ، فإذا أنا بنار تتأجج لي فهبتها ، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذها بيحب به العطش ، وإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أبي بن خلف - وثبت في الصحيحين من رواية عبد الرزاق بن معمر ، عن همام بن منبه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله ﷺ» - وهو حينئذ يشير إلى رابعته - واشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله وأخرجه البخاري أيضاً من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال : اشتد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ بيده في سبيل الله ، واشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله ﷺ - وقال ابن إسحاق : أصيبت رابعة رسول الله ﷺ ، وشج في وجته ، وكلمت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص . فحدثني صالح بن كيسان عن من حدثه ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمته لسيء الخلق مبعوضاً في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على من دمي وجه رسول الله ﷺ» - وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن الزهري ، عن عثمان الحرير ، عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رابعته ودمى وجهه ، فقال «اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافراً» فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار - وذكر الواقدي عن ابن أبي سيرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جبير ، قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ في وسطها ، كل ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ ، يقول : دلوني على محمد لا نجوت إن نجا ، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ليس معه أحد ، ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان ، فقال : والله ما رأيته أحلف بالله أنه منا ممنوع ! خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك . قال الواقدي : والذي ثبت عندنا ، أن الذي دمي وجتي رسول الله ﷺ ابن قمئة ، والذي دمي شفته وأصاب رابعته عتبة بن أبي وقاص . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا ابن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين رضي الله عنها ، قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد ، قال : ذاك يوم كله لطلحة ثم أنشأ يحدث ، قال : كنت أول من فاء يوم أحد ، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ ودونه وأراه قال حية ، فقلت : كن طلحة حيث فاتني ما فاتني ، فقلت : يكون رجلاً من قومي أحب إلي وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه ، وهو يحطف المشي خطفاً لا أعرفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ، فانتبهت إلى رسول الله ﷺ ، وقد كسرت رابعته وشج في وجهه ، وقد دخل في وجته حلقتان من حلق المغفر ، فقال رسول الله ﷺ «عليكما صاحبكما يريد طلحة» وقد نرف فلم نلتفت إلى قوله ، قال : وذهبت لأنزع ذلك من وجهه ، فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحقي لما تركتني فتركته ، فكره أن يتناولها بيده فيؤذي رسول الله ﷺ ، فأزم عليه بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ، ووقعت ثنيته مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع ، فقال : أقسمت عليك بحقي لما تركتني ، قال ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، ووقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة ، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتياً ، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار ، فإذا به يضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت أصبعه ، فأصلحنا من شأنه ، ورواه الهيثم بن كليب والطبراني من حديث إسحاق بن يحيى به . وعند الهيثم قال أبو عبيدة : أنشدك الله يا أبا بكر ألا تركتني ؟ فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه ، فجعل ينضضه كراهية أن يؤذي رسول الله ﷺ ثم استل السهم بفيه فبدرت ثنية أبي عبيدة ، وذكر تمامه ، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه ، وقد ضعف علي بن المديني هذا الحديث من جهة إسحاق بن يحيى ، هذا فإنه تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان وأحمد ويحيى بن معين والبخاري وأبو زرعة وأبو حاتم ومحمد بن سعد والنسائي وغيرهم -

وقال ابن وهب : اخبرني عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه أبلغه أن مالكا أبا أبي سعيد الخدري لما جرح النبي ﷺ يوم أحد مص الجرح حتى أنقاه ولاح أبيض فقيل له : جبه ، فقال لا والله لا أجبه أبدا ، ثم أدبر يقاتل ؛ فقال النبي ﷺ : ومن أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليُنظر إلى هذا فاستشهد . وقد ثبت في الصحيحين من طريق عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد ، أنه سئل عن جرح رسول الله ﷺ فقال : جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه ﷺ ، فكانت فاطمة تغسل الدم وكان علي يسكب عليه الماء بالمجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها حتى إذا صارت رمادا ألصقته بالجرح فاستمسك الدم ؛ وقوله تعالى : ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ أي فجزاكم غما على غم ، كما تقول العرب : نزلت ببني فلان ، ونزلت على بني فلان . وقال ابن جرير : وكذا قوله ﴿وَلَا صَلْبَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي على جذوع النخل . قال ابن عباس : الغم الأول بسبب الهزيمة ، وحين قتل محمد ﷺ ، والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل ، وقال النبي ﷺ : اللهم ليس لهم أن يعلووا ، وعن عبد الرحمن بن عوف : الغم الأول بسبب الهزيمة ، والثاني حين قتل محمد ﷺ كان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة ، رواها ابن مردويه ؛ وروي عن عمر بن الخطاب نحو ذلك ؛ وذكر ابن أبي حاتم ، عن قتادة نحو ذلك أيضا وقال السدي : الغم الأول بسبب ما فاتهم من الغنيمة والفتح ، والثاني بإشراف العدو عليهم . وقال محمد بن إسحاق ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ أي كربا بعد كرب قتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ؛ وما وقع في أنفسكم من قول : قتل نبيكم ، فكان ذلك متابعا عليكم غما بغم . وقال مجاهد وقاتدة : الغم الأول سماعهم قتل محمد ، والثاني ما أصابهم من القتل والجراح . وعن قتادة والربيع بن أنس عكسه . وعن السدي : الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة ، والثاني إشراف العدو عليهم ، وقد تقدم هذا القول عن السدي . قال ابن جرير : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ فأنذركم نعمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح ، يومئذ بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمصيبتكم أمر ربكم ، وخلافكم أمر نبيكم ﷺ غم ظنكم أن نبيكم قد قتل وميل العدو عليكم ونبوكم منهم . وقوله تعالى : ﴿لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ أي على ما فاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من الجراح والقتل ، قال ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف والحسن وقاتدة والسدي ؛ ﴿والله خير بما تعملون﴾ سبحانه وبحمده لا إله إلا هو جل وعلا .

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نَّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَّ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٦٠﴾

يقول تعالى ممثنا على عبادته فيما أنزل عليهم من السكينة والأمانة وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح في حال مهمهم وغمهم ، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان ، كما قال في سورة الأنفال في قصة بدر ﴿إِذْ يَغْشِيكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةٌ مِّنْهُ﴾ الآية ؛ وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو نعيم ووكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان ؛ وقال البخاري وقال لي خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة ، قال : كنت فيمن تغشاها النعاس يوم أحد ، حتى سقط سيفي من يدي مرارا ، يسقط وأخذه ، ويسقط وأخذه ؛ هكذا رواه في المغازي معلقا ، ورواه في كتاب التفسير مسندا عن شيبان ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة ، قال : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ، قال فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ويسقط وأخذه . وقد رواه الترمذي والنسائي والحاكم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، عن أبي طلحة ، قال ؛ رفعت رأسي يوم أحد وجعلت أنظر وما منهم

يومئذ أحد إلا يميل تحت حجفته من النعاس ؛ لفظ الترمذي وقال : حسن صحيح . ورواه النسائي أيضاً ، عن محمد بن المثنى ، عن خالد بن الحارث ، عن أبي قتبية ، عن ابن أبي عدي ، كلاهما عن حميد ، عن أنس ، قال : قال أبو طلحة : كنت فيمن ألقى عليه النعاس ، الحديث ؛ وهكذا رواه عن الزبير وعبد الرحمن بن عوف وقال البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الحسين محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك المخزومي ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا شيبان عن قتادة ، حدثنا أنس بن مالك أن أبا طلحة قال : غشنا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذ ويسقط وأخذ . قال : والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ أي إنما هم أهل شك وريب في الله عز وجل هكذا رواه بهذه الزيادة وكأنها من كلام قتادة رحمه الله وهو كما قال ؛ فإن الله عز وجل يقول ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة ناعساً يغشى طائفة منكم﴾ يعني أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله عز وجل سينصر رسوله وينجز له مأموله ؛ ولهذا قال ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ يعني لا يتشاهم الناس من القلق والجزع والخوف ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ كما قال في الآية الأخرى ﴿بيل ظنتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ إلى آخر الآية ، وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفصلة وأن الإسلام قد باد وأهله ، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الغلطية تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة ، ثم أخبر تعالى عنهم أنهم ﴿يقولون﴾ في تلك الحال ﴿هل لنا من الأمر من شيء﴾ فقال تعالى ﴿قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾ ثم فسر ما أخفوه في أنفسهم بقوله ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا﴾ أي يسرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ . قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : قال الزبير : لقد رأيته مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فها منا من رجل إلا ذقه في صدره ، قال : فوالله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعُه إلا كالحلم يقول ﴿لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا﴾ فحفظتها منه وفي ذلك أنزل الله ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا﴾ لقول معتب ؛ رواه ابن أبي حاتم . قال الله تعالى : ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم﴾ أي هذا قدر قدره الله عز وجل وحكم حتم لا محيد عنه ولا مناص منه ؛ وقوله تعالى : ﴿وليتلى الله ما في صدوركم وليمحس ما في قلوبكم﴾ أي يخبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ أي بما يختلج في الصدور من السرائر والضمائر ، ثم قال تعالى : ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا﴾ أي ببعض ذنوبهم السابقة كما قال بعض السلف : إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها ، ثم قال تعالى ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ أي عما كان منهم من الفرار ﴿إن الله غفور رحيم﴾ أي يغفر الذنب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم ، وقد تقدم حديث ابن عمر في شأن عثمان وتولييه يوم أحد وإن الله قد عفا عنه مع من عفا عنهم عند قوله ﴿ولقد عفا عنكم﴾ ومناسب ذكره ههنا ، قال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ؛ عن عاصم ، عن شقيق ، قال : لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان فقال له عبد الرحمن : أبلغه أني لم أفر يوم حنين ، قال عاصم : يقول يوم أحد : ولم تخلف عن بدر ولم أترك سنة عمر ، قال : فانطلق فأخبر بذلك عثمان ، قال : فقال عثمان : أما قوله إني لم أفر يوم حنين ، فكيف يميزني بذلك ، ولقد عفا الله عنه فقال تعالى : ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم﴾ وأما قوله إني تخلفت يوم بدر ، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم ، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم فقد شهد ، وأما قوله إني تركت سنة عمر فإني لا أطيقها ولا هو ، فاته فحدثه بذلك .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لَا خَافَ مِنَّا شَيْءٌ

ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَّوْكَانُوا عِندَنَا مَا مَانُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُمِيتُ وَيُحْيِي

وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٦﴾ وَلَٰكِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٦٧﴾

وَلَٰكِن مِّتُّم أَوْ قُتِلْتُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشَرُونَ ﴿١٦٨﴾

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد ، الدال على قوهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب ، لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم ؛ فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ أي عن إخوانهم ﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي سافروا للتجارة ونحوها ﴿ أَوْ كَانُوا غَزَى ﴾ أي كانوا في الغزو ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا ﴾ أي في البلد ﴿ مَا مَاتُوا وَمَا قَتَلُوا ﴾ أي ما ماتوا في السفر ، وما قتلوا في الغزو وقوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتاهم وقتلهم ، ثم قال تعالى ردا عليهم ﴿ وَاللَّهُ يَخْتِمْ وَيَتَّخِذُ ﴾ أي بيده الخلق وإليه يرجع الأمر ، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره ، ولا يزداد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي علمه وبصره نافذ في جميع خلقه ، لا يخفى عليه من أمورهم شيء ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَنُكَلِّمَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ وَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ تضمن هذا أن القتل في سبيل الله والموت أيضاً ، وسيلة إلى نيل رحمة الله وغفوه ورضوانه ، وذلك خير من البقاء في الدنيا وجميع حطامها الفاني ، ثم أخبر تعالى بأن كل من مات أو قتل فمسيره ومرجه إلى الله عز وجل ، فيجزيه بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فقال تعالى : ﴿ وَلَنُكَلِّمَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ وَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٣٨﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا عَمِلَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٤٠﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ مِنْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٤١﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُهَا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٢﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٤٣﴾

يقول تعالى مخاطباً رسوله ، محتأ عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته التبعية لأمره ، التاركين لجزره ، وأطاب لهم لفظه ﴿فبها رحمة من الله لنت لهم﴾ أي بأي شيء جعلك الله لهم ليئاً ، لولا رحمة الله بك وبهم ، وقال قتادة ﴿فبها رحمة من الله لنت لهم﴾ يقول فبرحة من الله لنت لهم ، وما صلة ، والعرب تصلها بالعرفه كقوله ﴿فبها نقضهم ميثاقهم﴾ وبالنكرة كقوله : ﴿عما قليل﴾ وهكذا هنا قال : ﴿فبها رحمة من الله لنت لهم﴾ أي برحة من الله ، وقال الحسن البصري هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ وقال الإمام أحمد : حدثنا حيوة ، حدثنا بقية ، حدثنا محمد بن زياد ، حدثني أبو راشد الحراتي قال : أخذ بيدي أبو أمامة الباهلي وقال : أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال «يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبي» تفرد به أحمد ، ثم قال تعالى : ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ والفظ الغليظ ، والمراد به هنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك ﴿غليظ القلب﴾ أي لو كنت سيء الكلام ، قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك ، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم ، كما قال عبد الله بن عمرو إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة انه ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، وقال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي : أنبأنا بشر بن عبيد ، حدثنا عمار بن عبد الرحمن عن المسعودي عن أبي مليكة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ «إن الله أمرني بمداواة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض» حديث غريب . ولهذا قال تعالى : ﴿فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطبيقاً لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه ، كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير ، فقالوا : يا رسول الله ، لو استعرضت بنا عريض البحر لقطعناه معك ، ولو سرت بنا إلى برك الغداد لسرنا

معك ، ولا نقول لك كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون ، ولكن نقول اذهب ، فنحن معك ، وبين يديك ، وعن يمينك ، وعن شمالك مقاتلون ، وشاورهم أيضاً ابن يكون المنزل ، حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم . وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو ، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم ، فخرج إليهم . وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث نهار المدينة عامد ، فأبى ذلك عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فترك ذلك ، وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين . فقال له الصديق : إنا لم نجئ لقتال أحد وإنما جئنا معتمرين ؛ فأجابه إلى ما قال ؛ وقال ﷺ في قصة الإفك «اشيروا عليّ معشر المسلمين في قوم أبنا أهلي ورموهم ، وأيم الله ما علمت على أهلي من سوء وأبتوهم بمن ؟ والله ما علمت عليه إلا خيراً واستشار علياً وأسامة في فراق عائشة رضي الله عنها . فكان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ، وقد اختلف الفقهاء هل كان ذلك واجباً عليه أو من باب النذب تطليماً لقلوبهم ؟ على قولين وقد روى الحاكم في مستدركه : أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادي ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أنبأنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وشاورهم في الأمر﴾ قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، وكذا رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت في أبي بكر وعمر ، وكانا حوارياً رسول الله ووزيريه ، وأبوي المسلمين ، وقد روى الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله ﷺ ، قال لأبي بكر وعمر «لوا اجتماعنا في مشورة ما خالفتمك» وروى ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال : سئل رسول الله ﷺ عن العزم ؟ فقال «مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم» وقد قال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن بكير عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «المستشار مؤتمن» ورواه أبو داود والترمذي ، وحسنه النسائي من حديث عبد الملك بأبسط من هذا . ثم قال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أسود بن عامر عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي عمرو الشيباني عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «المستشار مؤتمن» تفرد به . وقال أيضاً : حدثنا أبو بكر ، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وعلي بن هاشم عن ابن أبي ليلى ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ «إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه» تفرد به أيضاً . وقوله تعالى : ﴿فإذا عزم فتوكل على الله﴾ أي إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ وقوله تعالى : ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وهذه الآية كما تقدم من قوله : ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ ثم أمرهم بالتوكل عليه ؛ فقال ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وقوله تعالى : ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ ؛ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد : ما ينبغي لنبي أن يغفل . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا المسيب بن واضح ، حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن سفيان بن خصيف عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : فقدوا قطيفة يوم بدر فقالوا : لعل رسول الله ﷺ أخذها ، فأنزل الله ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ أي يغفل . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا عبد الواحد بن زيادة ، حدثنا خصيف ، حدثنا مقسم ، حدثني ابن عباس أن هذه الآية ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ، فقال بعض الناس : لعل رسول الله ﷺ أخذها ، فأكثروا في ذلك ، فأنزل الله ﴿وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة﴾ وكذا رواه أبو داود والترمذي جميعاً عن قتيبة ، عن عبد الواحد بن زياد به . وقال الترمذي : حسن غريب ، ورواه بعضهم ، عن خصيف ، عن مقسم يعني مرسلًا ؛ ورواه ابن مردويه من طريق أبي عمرو بن العلاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : اتهم المنافقون رسول الله ﷺ بشيء فقد ، فأنزل الله تعالى : ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ وروي من غير وجه عن ابن عباس نحو ما تقدم ، وهذا تنزيه له صلوات الله وسلامه عليه من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك . وقال العوفي عن ابن عباس ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ أي بأن يقسم لبعض السرايا ويترك بعضاً . وكذا قال الضحاك . وقال محمد بن إسحاق ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ بأن يترك بعض ما أنزل إليه فلا يبلغ أمته . وقرأ الحسن البصري وطاوس ومجاهد والضحاك ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ بضم الياء أي يخان وقال قتادة والربيع بن أنس : نزلت هذه الآية يوم بدر ، وقد غل بعض أصحابه . ورواه ابن جرير عنها ، ثم حكى عن بعضهم أنه فسر هذه القراءة بمعنى يتهم بالخيانة ، ثم قال تعالى : ﴿ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة﴾ ثم توفي كل نفس ما كسبت وهو لا يظلمون . وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، وقد وردت السنة بالنهي عن ذلك أيضاً في أحاديث متعددة ، قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الملك ، حدثنا زهير يعني ابن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن النبي ﷺ قال «أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض ،

تجدون الرجلين جارين في الأرض - أو في الدار - فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعاً ، فإذا قطعه طوقه من سبع أرضين يوم القيامة .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن غير ، حدثنا ابن لهيعة ، عن ابن هيرة والحارث بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن جبير قال : سمعت المستورد بن شداد يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول «من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً أو ليست له زوجة فليتزوج . أو ليس له خادم فليتخذ خادماً ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة ، ومن أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غال» هكذا رواه الإمام أحمد . وقد رواه أبو داود بسند آخر وسياق آخر ، فقال : حدثنا موسى بن مروان الرقي ، حدثنا المعافي ، حدثنا الأوزاعي عن الحارث بن يزيد ، عن جبير بن نفير ، عن المستورد بن شداد ؛ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة ، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً ، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً» قال : قال أبو بكر : أخبرت أن النبي ﷺ ، قال «من اتخذ غير ذلك فهو غال - أو سارق» . قال شيخنا الحافظ المزني رحمه الله : رواه أبو جعفر بن محمد القرطبي عن موسى بن مروان : فقال : عن عبد الرحمن بن جبير بدل جبير بن نفير ، وهو أشبه بالصواب .

[حديث آخر] - قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا حفص بن بشر ، حدثنا يعقوب القمي ، حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ «لأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ، ينادي : يا محمد يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك ، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملًا له رغاء ، يقول : يا محمد يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك ، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرساً له حمحة ، ينادي : يا محمد يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك ، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قساً من آدم ينادي : يا محمد يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك» لم يروه أحد من أهل الكتب الستة .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن الزهري سمع عروة يقول : حدثنا أبو حميد الساعدي : قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللثبية على الصدقة ؛ فجاء فقال : هذا لكم وهذا أهدي لي . فقام رسول الله ﷺ على المنبر فقال «ما بال العامل نبعثه على عمل فيقول : هذا لكم وهذا أهدي لي : أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدي إليه أم لا ؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحدكم منها شيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته ، إن كان بغيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تبعر» ثم رفع يديه حتى رأينا عرقاً إبطينه ؛ ثم قال «اللهم هل بلغت» ثلاثاً ، وزاد هشام بن عروة فقال أبو حميد : بصرت به يعني وسمعت بأذني وأسألو زيد بن ثابت ، أخرجه من حديث سفيان بن عيينة ، وعند البخاري : وأسألو زيد بن ثابت ، ومن غير وجه عن الزهري ، ومن طرق عن هشام بن عروة ، كلاهما عن عروة ، به .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة بن الزبير عن أبي حنيفة أن رسول الله ﷺ قال «هذا يا العمال غلول» وهذا الحديث من أفراد أحمد ، وهو ضعيف الإسناد ، وكأنه مختصر من الذي قبله ، والله أعلم .

[حديث آخر] - قال أبو عيسى الترمذي في كتاب الأحكام : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو أسامة عن داود بن يزيد الأودي ، عن المغيرة بن شبل ، عن قيس بن أبي حازم ، عن معاذ بن جبل ، قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فلما سرت أرسل في أثري فرددت ، فقال «أندري لم بعثت إليك ؟ لا تصيبين شيئاً بغير إذني فإنه غلول» ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة «لهذا دعوتك فامض لعملك» هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ؛ وفي الباب عن عدي بن حميرة وبريدة والمستورد بن شداد وأبي حميد وابن عمر .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن علي ، حدثنا أبو حيان يحيى بن سعيد التيمي ، عن أبي زرعة ، عن ابن عمر وابن جرير ، عن أبي هريرة ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ يوماً فذكر الغلول فعضمه وعظم أمره ، ثم قال : لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بغير له رغاء ، فيقول : يا رسول الله أغثني ؛ فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحة ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك» أخرجه من حديث أبي حيان به .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد بن إسماعيل بن أبي خالد ، حدثني قيس بن عدي بن

عميرة الكندي قال : قال رسول الله ﷺ «يا أيها الناس من عمل لنا منكم عملاً فكتننا منه مخيطاً فما فوقه ، فهو غل يأتي به يوم القيامة» قال : فقام رجل من الأنصار أسود - قال مجاهد : هو سعد بن عبادة كآني انظر إليه - فقال : يا رسول الله ، أقبل مني عملك . قال «وما ذاك ؟» قال : سمعتك تقول : كذا وكذا ؛ قال «وأنا أقول ذاك الآن ، من استعملناه على عمل فليجيء بقليله وكثيره ، فما أوتي من أخذه ، وما نهي عنه انتهى» وكذا رواه مسلم وأبو داود من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية عن أبي اسحاق الفزاري ، عن ابن جريج ، حدثني منبذ رجل من آل أبي رافع عن الفضل بن عبد الله بن رافع ، عن أبي رافع ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بني عبد الأشهل فيتحدث معهم حتى ينحدر إلى المغرب ، قال أبو رافع : فبينما رسول الله ﷺ مسرعاً إلى المغرب ، إذ مر بالقيع ، فقال «أف لك ، أف لك» فلزق في درعي وتأخرت وظننت أنه يريدني ، فقال «مالك ؟» قلت : أحدث حدثاً يا رسول الله ؛ قال «وما ذاك ؟» قال : إنك قلت لي ، قال «لا ، ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعياً على آل فلان فغل غمرة فدرع الآن مثلها من نار» .

[حديث آخر] - قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن سالم الكوفي المفلوج - وكان ثقة - حدثنا عبيد بن الأسود عن القاسم بن الوليد ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجية ، عن عباد بن الصامت ، قال : كان رسول الله ﷺ يأخذ الوبرة من ظهر البعير من المغنم ثم يقول «مالي فيه إلا مثل ما لأحدكم ، إياكم والغلول فإن الغلول خزي على صاحبه يوم القيامة ، أدوا الخيط والمخيط وما فوق ذلك ، وجاهدوا في سبيل الله القريب والبعيد ، في الحضر والسفر ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، إنه لينجي الله به من الهم والغم ؛ وأقيموا حدود الله في القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم» وقد روى ابن ماجه بعضه عن المفلوج به .

[حديث آخر] - عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ «ردوا الخياط والمخيط ، فإن الغلول عار ونار وشار على أهله يوم القيامة» .

[حديث آخر] - قال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن مطرف ، عن أبي الجهم ، عن أبي مسعود الأنصاري ، قال : بعثني رسول الله ﷺ ساعياً ، ثم قال «انطلق أبا مسعود لا ألفينك يوم القيامة تحيى على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء ، قد غلته» قال : إذا لا أنطلق ، قال «إذا لا أكرهك» ، تفرد به أبو داود . [حديث آخر] - قال أبو بكر بن مردويه : أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أنبأنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، أنبأنا عبد الحميد بن صالح ، أنبأنا أحمد بن أبان عن علقمة بن مرثد ، عن أبي بريدة عن أبيه ، عن النبي ﷺ ، قال «إن الحجر يرمى به في جهنم فيهوي سبعين خريفاً ما يبلغ قعرها ، ويؤتى بالغلول فيقذف معه ثم يقال لمن غل به اثت به ، فذلك قوله «ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة»» .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثني سماك الحنفي أبو زميل ، حدثني عبد الله بن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد ، حتى أتوا على رجل ، فقالوا : فلان شهيد ؛ فقال رسول الله ﷺ «كلا إني رأيته في النار في بردة غلها - أو عباءة -» ثم قال رسول الله ﷺ «أذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» . قال : فخرجت فناديت : إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وكذا رواه مسلم والترمذي من حديث عكرمة بن عمار به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

[حديث آخر عن عمر رضي الله عنه] - قال ابن جرير : حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، حدثني عبد الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث أن موسى بن جبير حدثه : أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصاري حدثه : أن عبد الله بن أنيس حدثه : أنه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يوماً الصدقة ، فقال : ألم تسمع قول رسول الله ﷺ حين ذكر غلول الصدقة «من غل منها بغيراً أو شاة فإنه يحمله يوم القيامة» ؟ قال عبد الله بن أنيس : بلى . ورواه ابن ماجه عن عمرو بن سوار عن عبد الله بن وهب به .

[حديث آخر] - قال ابن جرير : حدثنا يحيى بن سعيد الأموي ، حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن عبادة مصدقاً ، فقال : يا سعد إياك أن تحيى يوم القيامة ببيعير تحمله له رغاء . قال : لا آخذه ولا أجيء به ، فأعفاه ثم رواه من طريق عبيد الله عن نافع به نحوه .

[حديث آخر] - قال أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، حدثنا صالح بن محمد بن زائدة عن

سالم بن عبد الله أنه كان مع مسلمة بن عبد الملك في أرض الروم ، فوجد في متاع رجل غلولاً ، قال : فسأل سالم بن عبد الله ؛ فقال : حدثني أبي عبد الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من وجدتم في متاعه غلولاً فأحرقوه» - قال : وأحسبه قال : واضربوه» قال : فأخرج متاعه في السوق فوجد فيه مصحفاً ، فسأل سالماً فقال : بعه وتصدق بشعته ؛ وكذا رواه علي بن المديني وأبو داود والترمذي من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي ؛ زاد أبو داود وأبو إسحاق الفزاري ، كلاهما عن أبي واقد الليثي الصغير صالح بن محمد بن زائدة . وقال علي بن المديني والبخاري وغيرهما : هذا حديث منكر من رواية أبي واقد هذا ؛ وقال الدارقطني : الصحيح أنه من فتوى سالم فقط ؛ وقد ذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل ومن تابعه من أصحابه ؛ وقد رواه الأموي عن معاوية عن أبي إسحاق ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : عقوبة الغال أن يخرج رحله فيحرق على ما فيه . ثم روي عن معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن علي ، قال : الغال يجمع رحله فيحرق ويحجل دون حد المملوك ويحرم نصيبه ، وخالفه أبو حنيفة ومالك والشافعي والجمهور فقالوا : لا يحرق متاع الغال بل يعزّر تعزير مثله ؛ وقد قال البخاري : وقد امتنع رسول الله ﷺ من الصلاة على الغال ، ولم يحرق متاعه ، والله أعلم - وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن جبير بن مالك ، قال : أمر بالمصاحف أن تغير ، قال : فقال ابن مسعود : من استطاع منكم أن يغسل مصحفاً فليغسله ، فإنه من غل شيئاً جاء به يوم القيامة ، ثم قال : قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين مرة ؛ أفأترك ما أخذت من في رسول الله ﷺ - وروى وكيع في تفسيره عن شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم ، قال : لما أمر بتحريق المصاحف ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أيها الناس غلوا المصاحف ، فإنه من غل يات بما غل يوم القيامة ، ونعم الغل المصحف يأتي به أحدكم يوم القيامة - وقال أبو داود ، عن سمرة بن جندب ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا غنم غنيمة أمر بلالاً فينادي في الناس ، فيجوزوا بغنائهم ، فيخمسهم ويقسمه ، فجاء رجل يوماً بعد النداء بزمام من شعر فقال : يا رسول الله ، هذا كان مما أصبناه من الغنيمة ، فقال «أسمعت بلالاً ينادي» ثلاثاً ؟ قال : نعم . قال «فما منعك أن تحمي» ؟ فاعتذر إليه فقال «كلا أنت تحمي» به يوم القيامة فلن أقبله منك . وقوله تعالى : «أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير» أي لا يستوي من اتبع رضوان الله فيها شرعه فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه ، وأجير من وبيل عقابه ، ومن استحق غضب الله وألزم به فلا يحيد له عنه ، وماواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير ، وهذه الآية لها نظائر كثيرة في القرآن ، كقوله تعالى : «أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى» ، كقوله «أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا» الآية . ثم قال تعالى : «هم درجات عند الله» ، قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق : يعني أهل الخير وأهل الشر درجات ، وقال أبو عبيدة والكسائي : منازل ، يعني متفاوتون في منازلهم ، درجاتهم في الجنة ودرجاتهم في النار ، كقوله تعالى : «ولكل درجات مما عملوا» الآية ؛ ولهذا قال تعالى : «والله بصير بما يعملون» أي وسيوفهم إياها ، ولا يظلمهم خيراً ولا يزيدهم شراً ، بل يجازي كل عامل بعمله ؛ وقوله تعالى : «لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم» أي من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به ، كما قال تعالى : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها» أي من جنسكم ؛ وقال تعالى : «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد» الآية . وقال تعالى : «وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق» وقال تعالى «وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى» وقال تعالى : «يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم» فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسول إليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعتهم في فهم الكلام عنه ؛ ولهذا قال تعالى : «يتلو عليهم آياته» يعني القرآن «ويزكيهم» أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم ، «ويعلمهم الكتاب والحكمة» يعني القرآن والسنة ، «وإن كانوا من قبل» أي من قبل هذا الرسول «لفي ضلال مبين» أي لفي غي وجهل ظاهر بين لكل أحد .

أَوَلَمْ أَصْبَحْتُكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلَهَا قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا قُلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٥﴾

وَمَا أَصْبَحْتُمْ يَوْمَ التَّفَقُّ الْجَمْعَانِ فَإِذِ اللَّهُ وَلِيْعَلَّمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾ وَلِيْعَلَّمُ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَوْادَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَأَتَّبَعْنَكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَيزُ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ

فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قَاتِلُوا قُلٌ قَادَرُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ

أَلَمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ﴾ وهي ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين ، منهم ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ يعني يوم بدر ، فإنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلاً وأسروا سبعين أسيراً ، قلتُم أنى هذا ؛ أي من أين جرى علينا هذا ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، أنبأنا أبو بكر عن أبي شيبة ، حدثنا قراد بن نوح ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا سماك الحنفي أبو زميل ، حدثني ابن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم أحد من العام المقبل ، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون ، وفر أصحاب رسول الله ﷺ عنه ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، فأنزل الله ﴿أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بأخذكم الفداء . وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غزوان وهو قراد بن نوح بإسناده ولكن بأطول منه ، وهكذا قال الحسن البصري ؛ وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا إسماعيل بن علي عن ابن عون ح ، قال سنيد وهو حسين : وحدثني حجاج عن جريح ، عن محمد بن عبيدة ، عن علي ، قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الأسارى ، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين : إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم ، قال : فدعا رسول الله ﷺ الناس ، فذكر لهم ذلك فقالوا : يا رسول الله ، عاشرنا وإخواننا إلا نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم ، فليس في ذلك ما نكره ؟ قال : فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلاً ، عدة أسارى أهل بدر ، وهكذا رواه النسائي والترمذي من حديث أبي داود الجفري عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن سفيان بن سعيد ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين به ؛ ثم قال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة ؛ وروى أبو أسامة عن هشام نحوه ؛ وروى عن ابن سيرين عن عبيدة ، عن النبي ﷺ مرسلًا . وقال محمد بن إسحاق وابن جرير والربيع بن أنس والسدي ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتهم ، يعني بذلك الرماة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ، ثم قال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِئَازٌ لِلَّهِ﴾ أي فراركم بين يدي عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحاتهم لأخرين ، كان بقضاء الله وقدره ، وله الحكمة في ذلك ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْنَعُكُمْ﴾ يعني بذلك أصحاب عبد الله بن أبي سلول الذين رجعوا معه في أثناء الطريق ، فاتبعهم رجال من المؤمنين يجرسونهم على الانبائ والقتال والمساعدة ؛ ولهذا قال ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو صالح والحسن والسدي : يعني كثروا سواد المسلمين ؛ وقال الحسن بن صالح : ادفعوا بالدعاء ؛ وقال غيره : رابطوا ، فتعللوا قائلين ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْنَعُكُمْ﴾ قال مجاهد : يعنون لو نعلم أنكم تلقون حرباً لجناحكم ، ولكن لا تلقون قتالاً . قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حيان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يعني حين خرج إلى أحد في ألف رجل من أصحابه ، حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة ، انحاز عنه عبد الله بن أبي سلول بثلاث الذس ، فقال : أطاعهم فخرج وعصاني ، والله ما ندري علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ؟ فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل النفاق وأهل الريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول : يا قوم أذكركم الله أن تغدوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم ، قالوا : لو نعلم أنكم تقتلون ما أسلمناكم ولكن لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم ، ومضى رسول الله ﷺ . قال الله عز وجل : ﴿هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ استدلو به على أن الشخص قد تقلب به الأحوال فيكون في حال أقرب إلى الكفر ، وفي حال أقرب إلى الإيمان ، لقوله ﴿هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ ثم قال تعالى : ﴿يَقُولُونَ يَا فَوَاحِشُ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته ، ومنه قولهم هذا ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْنَعُكُمْ﴾ فإنهم يتحققون أن جنداً من المشركين قد جاءوا من بلاد بعيدة يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من أشرافهم يوم بدر . وهم أضعاف المسلمين انه كائن بينهم قتال لا محالة . ولهذا قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ ثم قال تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا﴾ أي لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج

ما قتلوا مع من قتل ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت ، فينبغي انكم لا تموتون ، والموت لا بد أت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة ، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين . قال مجاهد عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه .

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦١﴾ فَرِحِينَ

بِمَاءِ أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٢﴾

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٦٣﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا

أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١٦٤﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٦٥﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا

رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٦٦﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٧﴾

يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار ، فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار . قال محمد بن جرير : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا عمرو بن يونس عن عكرمة ، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك في أصحاب رسول الله ﷺ الذين أرسلهم نبي الله إلى أهل بئر معونة ، قال : لا أدري أربعين أو سبعين ، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري ، فخرج أولئك النفر من أصحاب رسول الله ﷺ حتى أتوا غارا مشرفا على الماء فقعوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء ؟ فقال - أراه أبو ملحان الأنصاري - : أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فخرج حتى أتى حول بيئهم فاجتأى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إني رسول رسول الله إليكم ، إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ؛ فأمنوا بالله ورسوله ، فخرج إليه رجل من كسر البيت يرمح ، فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر ، فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة ، فاتبعوا أثره حتى أتوا صاحبه في الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل ، وقال ابن إسحاق : حدثني أنس بن مالك أن الله أنزل فيهم قرآنا بلغوا عنا قريتنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ، ثم نسخت فرفعت بعد ما قرأناها زمانا ، وأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ وقد قال مسلم في صحيحه : حدثنا محمد بن عبد الله بن غفر ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، قال : إنا سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فقال : أما إننا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال «أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ فقالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة ، تركوا» وقد روي نحوه من حديث أنس وأبي سعيد .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ ، قال «ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا إلا الشهيد ، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى مما يرى من فضل الشهادة» تفرد به مسلم من طريق حماد .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبد الله المدني ، حدثنا سفيان بن محمد بن علي بن ربيعة السلمي ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر ، قال : قال لي رسول الله ﷺ «أعلمت أن الله أحيا أباك ، فقال له : نعم . فقال له : أرد إلى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى . قال : إني قضيت إنهم لا يرجعون» . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما : أن أبا جابر وهو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري رضي الله عنه ، قتل

يوم أحد شهيداً . قال البخاري : وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر : سمعت جابراً قال لما قتل أبي : جعلت أبكي واكتشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني والنبي ﷺ لم ينه ؛ فقال النبي ﷺ « لا تبكيه - أو ما تبكيه - ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع » وقد أسنده هو ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، قال : لما قتل أبي يوم أحد ، جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي ، وذكر تمامه بنحوه .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي عن أبي إسحاق ، حدثنا إسماعيل بن أمية عن عمرو بن سعيد عن أبي الزبير المكي ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ « لما أصيب إخوانكم يوم أحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتاكل من ثمارها ، وتأتي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله هذه الآيات «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» وما بعدها » وهكذا رواه أحمد ، ورواه ابن جرير عن يونس ، عن ابن وهب ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن إسحاق به . ورواه أبو داود والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق به . ورواه أبو داود والحاكم عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ، وهذا أثبت . وكذا رواه سفيان الثوري عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - وروى الحاكم في مستدركه من حديث أبي إسحاق الفزاري ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ؛ وكذلك قال قتادة والربيع والضحاك : أنها نزلت في قتل أحد .

[حديث آخر] - قال أبو بكر بن مردويه ؛ حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا هارون بن سليمان ، أنبأنا علي بن عبد الله المدني ، أنبأنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصاري ، سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصميت الأنصاري ، قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلي رسول الله ﷺ ذات يوم فقال «يا جابر مالي أراك مهتماً ؟» قلت : يا رسول الله ، استشهد أبي وترك ديناً وعيلاً ، قال : فقال : «ألا أخبرك ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً» ، قال علي : والكفاح المواجهة . قال : سلني أعطك . قال : أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال الرب عز وجل : إنه قد سبق مني القول : إنهم إليها لا يرجعون . قال : أي رب فأبلغ من ورائي ؛ فأنزل الله «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً» الآية . ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سليل الأنصاري ، عن أبيه عن جابر ، به نحوه . وكذا رواه البيهقي في دلائل النبوة من طريق علي بن المدني به . وقد رواه البيهقي أيضاً من حديث أبي عباد الأنصاري وهو عيسى بن عبد الله إن شاء الله عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال النبي ﷺ لجابر «يا جابر ألا أبشرك» قال : بلى ، بشرك الله بالخير ، قال «شعرت بأن الله أحيا أباك ، فقال : تمن علي عبي ما شئت أعطك ، قال : يا رب ما عبدتك حق عبادتك ، أنمئني عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى ، قال : إنه سلف مني أنه إليها لا يرجع .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي عن ابن إسحاق ، حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ «الشهداء على بارق نهر بياب الجنة ، فيه قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» تفرد به أحمد . وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب : حدثنا عبد الرحمن ابن سليمان وعبيدة عن محمد بن إسحاق به ، وهو إسناد جيد : وكان الشهداء أقسام منهم من تسرح أرواحهم في الجنة ، ومنهم من يكون على هذا النهر بياب الجنة ، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر ، فيجتمعون هنالك ، ويغذى عليهم برزقهم هناك ويزراح ، والله أعلم - وقد روي في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضاً فيها ، وتاكل من ثمارها ، وترى ما فيها من النضرة والسرور ، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة ، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم ، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة ؛ فإن الإمام أحمد رحمه الله ، رواه عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ، عن مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله ، عن الزهري عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» قوله «يعلق» أي يأكل ؛ وفي هذا الحديث «إن روح المؤمن تكون على شكل طائر في

الجنة» وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر ، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين ، فإنها تطير بأنفسها ، فسأل الله الكريم المنان أن يمتتنا على الإيمان - وقوله تعالى : ﴿فرحين بما آتاهم الله﴾ إلى آخر الآية ، أي الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم ، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة ، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقدمون عليهم ، وأنهم لا يخافون بما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم ، نسأل الله الجنة . وقال محمد بن إسحاق ﴿ويستبشرون﴾ أي ويسرون بلحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم . قال السدي : يؤتى الشهيد بكتاب فيه : يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بغائبهم إذا قدم ، قال سعيد بن جبير : لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء ، قالوا : يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة ، فإذا شهدوا القتال بأشروها بأنفسهم حتى يستشهدوا فيصيبوا ما أصبنا من الخير ، فأخبر رسول الله ﷺ بأمرهم وما هم فيه من الكرامة ، وأخبرهم ، أي ربهم ، أنني قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم وما أنتم فيه ، فاستبشروا بذلك ؛ فذلك قوله : ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ الآية ، وقد ثبت في الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة ، السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة ، وقنت رسول الله ﷺ يدعو على الذين قتلوهم ويلعنهم ، قال أنس : ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع وأن بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا .

ثم قال تعالى : ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ قال محمد بن إسحاق : استبشروا ، أي سرورا لما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم ، وقلنا ذكر الله فضلاً ذكر به الأنبياء وثواباً أعطاهم الله إياه ، إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم . وقوله تعالى : ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾ هذا كان يوم حراء الأسد ، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين ، كروا راجعين إلى بلادهم ، فلما استمروا في سيرهم ندمو لم لا تلموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعيبهم ويريمهم أن بهم قوة وجلداً ، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الواقعة يوم أحد سوى جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، لما سذكروه ، فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ . قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : لما رجع المشركون عن أحد ، قالوا : لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردتم ، بشيا صنعتم ، ارجعوا ؛ فسمع رسول الله ﷺ بذلك ، فندب المسلمين ، فانتدبوا حتى بلغوا حراء الأسد - أو بئر أبي عيينة - الشك من سفيان فقال المشركون : نرجع من قابل ، فرجع رسول الله ﷺ ، فكانت تعد غزوة ، فأنزل الله تعالى : ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ وروى ابن مردويه من حديث محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فذكره - وكان محمد بن إسحاق : كان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام ، فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع ، وقال : يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي فتخلف على أخواتك ، فتخلفت عليهن ، فأذن له رسول ﷺ فخرج معه ؛ وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهبا للعدو ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم . قال محمد بن إسحاق : فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل ؛ كان قد شهد أحداً ، قال : شهدنا أحداً مع رسول الله ﷺ أنا وأخي رجعتنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو ، وقلت لأخي - أوقال لي - : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله ما لنا من دابة تركيها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ، وكنت أيسر جراحاً منه ؛ فكان إذا غلب حملته عقية ؛ حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون . وقال البخاري : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ الآية ؛ قلت لعروة : يا ابن أخي كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما لما أصاب نبي الله ﷺ ما أصابه يوم أحد ، وانصرف عنه المشركون ، خاف أن يرجعوا ؛ فقال (من يرجع في أثرهم) فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير ، هكذا رواه البخاري منفرداً بهذا

السياق ؛ وهكذا رواه الحاكم في مستدرکه عن الأصم ، عن أبي العباس الدوري ، عن أبي النضر ، عن أبي سعيد المؤدب ، عن هشام بن عروة به ، ثم قال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، كذا قال . ورواه ابن ماجة عن هشام بن عمار ، وهدية بن عبد الوهاب عن سفيان بن عيينة ، عن هشام بن عروة به ، وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان به . وقد رواه الحاكم أيضاً من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن التيمي ، عن عروة ، وقال : قالت لي عائشة : إن أباك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه - وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر من أصل كتابه ؛ أنبأنا سموية ، أنبأنا عبد الله بن الزبير ، أنبأنا سفيان ، أنبأنا هشام عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال لي رسول الله ﷺ «إن كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أبو بكر والزبير» ، ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده لمخالفته رواية الثقات من وقفه على عائشة رضي الله عنها كما قدمناه ، ومن جهة معناه فإن الزبير ليس هو من أباه عائشة ، وإنما قالت ذلك عائشة لعروة بن الزبير ، لأنه ابن أختها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ؛ وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سعد ، حدثني عمي ، حدثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعد ما كان منه ما كان ، فرجع إلى مكة ، فقال النبي ﷺ «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً ، وقد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب» ، وكانت وقعة أحد في شوال ، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة ، فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المؤمنين القرح ، واشتكوا ذلك إلى النبي ﷺ واشتد عليهم الذي أصابهم ، وإن رسول الله ﷺ ندب الناس ليتطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا تبعين ، وقال «إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج ، ولا يقدرון على مثلها حتى عام مقبل» فجاء الشيطان يخوف أوليائه ، فقال : إن الناس قد جمعوا لكم ، فأبى عليه الناس أن يتبعوه ، وقال «إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد لأحضض الناس» فانتدب معه الصديق وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً ، فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾ الآية ؛ ثم قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة ، وقد مر به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكان خزاعة مسلمهم ومشرکہم عبية ، نصح لرسول الله ﷺ بتهمته صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشركاً ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا محمداً وأصحابهم وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ لنكرن على بقيتهم ثم لنفرغن منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ما وراءك ما معبد ؟ قال : محمد وأصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فهم من الحق عليكم بشيء لم أر مثله قط ؛ قال : وملك ما تقوله ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ، قال : فإني أنهك عن ذلك ، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

إذ سالت الأرض بالجرد الأبابل
عند اللقاء ولا ميل معازيل
لما سموا برئيس غير مخذول

كادت تهد من الأصوات راحلتي
تردى بأسد كرام لا تنابله
فطلت أعدو أظن الأرض مائلة
فقلت :

إذ تغططت البطحاء بالخييل
لكل ذي إريسة منهم ومعقول
وليس يوصف ما أنشذت بالقييل

ويل ابن حرب من لقائكم
إني نذير لأهل السيل ضاحية
من جيش أحمد لا وخش تنابله

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ، ومر به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم هذه غداً زيباً

بمعاظ إذا وافيتونا؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه، فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم؛ فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه؛ فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة؛ قال: قال رسول الله ﷺ حين بلغه رجوعهم «والذي نفسي بيده لقد سئمت لهم حجارة لو أصبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب» وقال الحسن البصري في قوله «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع» أن أبا سفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا، ورجعوا؛ فقال رسول الله ﷺ: إن أبا سفيان قد رجع وقد قذف الله في قلبه الرعب، فمن يتدب في طلبه، فقام النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فقبعهم، فبلغ أبا سفيان أن النبي ﷺ يطلبه، فلقى عبداً من التجار فقال: ردوا محمداً ولكم من الجمل كذا وكذا، وأخبروهم أنني قد جمعت جموعاً وأني راجع إليهم، فجاء التجار فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فقال النبي ﷺ «حسبنا الله ونعم الوكيل». فأنزل الله هذه الآية؛ وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد: إن هذا السياق نزل في شأن غزوة حمراء الأسد، وقيل: نزلت في بدر الموعد؛ والصحيح الأول. وقوله تعالى: «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً» الآية؛ أي الذين توعدتهم الناس بالجموع وخوفهم بكثرة الأعداء، فما أكثرثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به، «وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل». وقال البخاري: حدثنا أحمد بن يونس، قال: أراه قال: حدثنا أبو بكر عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار؛ وقال محمد ﷺ حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. وقد رواه النسائي عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم وهارون بن عبد الله، كلاهما عن يحيى بن أبي بكر، عن أبي بكر وهو ابن عياش به، والمعجب أن الحاكم أبا عبد الله رواه من حديث أحمد بن يونس به؛ ثم قال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ثم رواه البخاري عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، عن إسرائيل، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، قال: كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار: حسبنا الله ونعم الوكيل. وقال عبد الرزاق: قال ابن عيينة: وأخبرني زكريا عن الشعبي، عن عبد الله بن عمرو، قال: هي كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، رواه ابن جرير. وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا إبراهيم بن موسى الثوري، حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن زياد السكري، أنبأنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قيل له يوم أحد: إن الناس قد جمعوا لكم، فاخشوهم؛ فأنزل الله هذه الآية. وروى أيضاً بسنده عن محمد بن عبد الله الرافي، عن أبيه، عن جده أبي رافع: أن النبي ﷺ، وجه علياً في نفر معه في طلب أبي سفيان، فلقبهم أعرابي من خزاعة فقال: إن القوم قد جمعوا لكم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت فيهم هذه الآية. ثم قال ابن مردويه: حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا الحسن بن سفيان، أنبأنا أبو خثيمة بن مصعب بن سعد، أنبأنا موسى بن أعين، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل» هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حيوة بن شريح وإبراهيم بن أبي العباس، قال: حدثنا بقية، حدثنا يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان، عن سيف، عن عوف بن مالك أنه حدثهم أن النبي ﷺ، قضى بين رجلين، فقال: المقتضي عليه لما أدبر: حسبي الله ونعم الوكيل؛ فقال النبي ﷺ «ردوا علي الرجل» فقال: «ما قلت؟» قال: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل» وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث بقية عن يحيى بن خالد، عن سيف وهو الشامي، ولم ينسب عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ بنحوه. وقال الإمام أحمد: حدثنا أسباط، حدثنا مطرف عن عطية، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحني جبهته يستمع متى يؤمر فينقح؟» فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فما نقول؟ قال «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا» وقد روي هذا من غير وجه، وهو حديث جيد، وقد روي عن أم المؤمنين زينب وعائشة رضي الله عنهما، أنهما تفاخرتا، فقالت زينب: زوجني الله وزوجكن أهاليكن، وقالت عائشة: نزلت برأيتي من السماء في القرآن، فسلمت لها زينب، ثم قال: كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل؟ قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل. قالت زينب: قلت كلمة المؤمنين؛ ولهذا قال تعالى: «فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء» أي لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم «بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء» مما أضمر لهم عدوهم «واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم» وقال البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر بن داود الزاهد، حدثنا محمد

ابن نعيم ، حدثنا بشر بن الحكم ، حدثنا مبشر بن عبد الله بن رزين ، حدثنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله ﴿فَاتَّقِلُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ قال : النعمة أنهم سلموا ، والفضل أن عبداً مَرَّتْ في أيام الموسم فاشتراها رسول الله ﷺ فربح فيها مالاً فقسمه بين أصحابه ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ قال : هذا أبو سفيان ، قال لمحمد ﷺ ، موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا . فقال محمد ﷺ «عسى» ؛ فانطلق رسول الله ﷺ لموعده حتى نزل بدرأ ، فوافقوا السوق فيها ، فابتاعوا ؛ فذلك قول الله عز وجل : ﴿فَاتَّقِلُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لِّمُحْسِنِهِمْ سُوءُ﴾ الآية ؛ قال : وهي غزوة بدر الصغرى ، رواه ابن جرير ؛ وروى أيضاً عن القاسم ، عن الحسين ، عن حجاج ، عن أبي جريح ، قال : لما عمد رسول الله ﷺ لموعد أبي سفيان فجعلوا يلقون المشركين فيسالونهم عن قريش ، فيقولون : قد جمعوا لكم ، يكيّدونهم بذلك ، يريدون أن يعربوهم ، فيقول المؤمنون : حسبنا الله ونعم الوكيل ، حتى قدموا بدرأ ، فوجدوا أسواقها غافية لم ينازعهم فيها أحد ، قال : فقدم رجل من المشركين ، فأخبر أهل مكة بخيل محمد ، وقال في ذلك :

نفرت قلوصي من خيول محمد وعجوة منشورة كالعنجد
وانخذت ماء قديد موعدي

قال ابن جرير : هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ ، إنما هو :

قد نفرت من رفقتي عمدا وعجوة من يشرب كالعنجد
فهي على دين أبيها الأتلا قد جعلت ماء قديد موعدا
وماء ضجنان لها ضحى الغدا

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ أي يخوفكم أوليائه ، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِيَّانَا كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ إذا سول لكم وأوهمكم فتركلوا علي والجأوا إلي ، فإنني كافيكم وناصرکم عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ إلى قوله ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ وقال ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ وقال ﴿ وَلِيَنْصَرِنَ اللَّهُ مِنْ بَنَصْرِهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ تَنْصَرُوا ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرَنَّ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ .

وَلَا يَخْرُجُكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنِصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ الْأَلْبَحْلَ لَهُمْ حَقٌّ فِي الْأُخْرَى وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنَ يَصْرِؤُوا اللَّهُ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

أَنَّمَا نَعْلَمُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نَعْلَمُ لَهُمْ لِرَدِّ أَوَّلِ الْأَسْمَاءِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٦﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا

أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۚ فَأَمَّا زُكْرَاءُ ۙ

وَرُسُلِهِ. وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَتُوبْ أَلَيْسَ لِي بِذُنُوبٍ وَأَنَا تَوَّابٌ ۖ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنٰتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَبِيرٌ

لَهُمْ نَارٌ هُمْ فِيهَا ضَالِقُونَ مَا يَخْلُجُوهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ

يقول تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَلَا يَجْزِيكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ وذلك من شدة حرصه على الناس ، كان يجزئه مبادرة الكفار إلى المخالفة والعناد والشقاق ، فقال تعالى : ﴿وَلَا يَجْزِيكَ ذَلِكَ﴾ [إمام لن يضره الله شيئاً يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة: أي حكمته فيهم أن يريد بمشيئته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيباً في الآخرة ﴿وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ؛

ثم قال تعالى مخبراً عن ذلك إخباراً مقررأ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي استبدلوا هذا بهذا ﴿لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً﴾ أي ولكن يضررون أنفسهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ؛ ثم قال تعالى : ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا غُلِّيَ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ، إِنَّمَا غُلِّيَ لَهُمْ لِيُزَادُوا فِي إِثْمِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ كقوله ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ نَّسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وكقوله ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ هَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وكقوله ﴿وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ثم قال تعالى : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي لا بد أن يعقد شيئاً من المحنة ، يظهر فيه وليه ويفضح به عدوه ، يعرف به المؤمن الصابر ، والمنافق الفاجر ، يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين ، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ ، وهتك به ستار المنافقين . فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله ﷺ ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قال مجاهد : ميز بينهم يوم أحد ، وقال قتادة : ميز بينهم بالجهاد والهجرة ، وقال السدي : قالوا : إن كان محمد صادقاً فليخبرنا عنن يؤمن به منا ومن يكفر به ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي حتى يخرج المؤمن من الكافر ، روى ذلك كله ابن جرير - ثم قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي أنتم لا تعلمون غيب الله في خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لولا ما يعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك . ثم قال تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُجِيبُكَ مِنْ رِسَالِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كقوله تعالى : ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدٌ﴾ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ ثم قال تعالى : ﴿فَأَمَّا بِلِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي أطيعوا الله ورسوله واتبعوه فيما شرع لكم ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَتَقَالُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاءَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ . بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ أي لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه بل هو مضرة عليه في دينه ، وربما كان في دنياه . ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة ، فقال ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ، قال البخاري : حدثنا عبد الله بن منير ، سمع أبا النضر ، حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ ومن آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ثم تلا هذه الآية ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاءَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ إلى آخر الآية ؛ تفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق الليث بن سعد عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح به .

[حديث آخر] قال الإمام أحمد : حدثنا حجيين بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ ، قال ﴿إِنَّ الَّذِي لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ يَمِثْلُ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شِجَاعاً أَقْرَعَ لَهُ زَبَيْبَتَانِ﴾ ، ثم يلزمه يطوقه يقول : أنا مالك أنا كنزك وهكذا رواه النسائي عن الفضل بن سهل عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة به . ثم قال النسائي : ورواية عبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أثبت من رواية عبد الرحمن عن أبيه عبد الله بن دينار ، عن أبي صالح عن أبي هريرة (قلت) ولا منافاة بين الروایتين ، فقد يكون عند عبد الله بن دينار من الوجهين ، والله أعلم ، وقد ساقه الحافظ أبو بكر بن مردويه من غير وجه عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . ومن حديث محمد بن حميد عن زياد الخطمي عن أبي هريرة به .

[حديث آخر] قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن جامع ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال ﴿مَا مِنْ عَبْدٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ شِجَاعٌ أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ ، يَفِرُّ مِنْهُ فَيَتْبَعُهُ ، فَيَقُولُ : أَنَا كَنْزُكَ﴾ ثم قرأ عبد الله مصداقه من كتاب الله ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ، وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جامع بن أبي راشد ، زاد الترمذي وعبد الملك بن أعين ، كلاهما عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود به ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وقد رواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي بكر بن عياش وسفيان الثوري ، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود به ؛ ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود موقوفاً .

[حديث آخر] قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أمية بن بسطام ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد بن قتادة عن سالم ابن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن ثوبان عن النبي ﷺ قال : ﴿مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزاً مِثْلَ لَهْ شِجَاعاً أَقْرَعَ لَهُ زَبَيْبَتَانِ يَتْبَعُهُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ وَبِلَكَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا كَنْزُكَ الَّذِي خَلَفْتَ بَعْدَكَ﴾ ، فلا يزال يتبعه حتى يلقيه يده

فيقضها ، ثم يتبع سائر جسده ، إسناده جيد قوي ، ولم يخرجوه . وقد رواه الطبراني عن جرير بن عبد الله البجلي ، ورواه ابن جرير وابن مردويه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ ، قال « لا يأتي الرجل مولاة فيسأله من فضل ماله عنده فيمنعه إياه إلا دعا له يوم القيامة شجاعاً يتلمظ فضله الذي منع » لفظ ابن جرير ؛ وقال ابن جرير « حدثنا داود عن أبي قزعة ، عن رجل ، عن النبي ﷺ ، قال « ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده ، فيبخل به عليه ، إلا خرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوقه » ثم رواه من طريق أخرى عن أبي قزعة واسمه حجر بن بيان ، عن أبي مالك العبدى موقوفاً ، ورواه من وجه آخر عن أبي قزعة مرسلًا . وقال العوفي عن ابن عباس : نزلت في أهل الكتاب الذين بخلوا بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها ، رواه ابن جرير ، والصحيح الأول وإن دخل هذا في معناه ، وقد يقال : إن هذا أولى بالدخول ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وقوله تعالى « والله ميراث السموات والأرض » أي « فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله عز وجل . فقدموا من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم « والله بما تعملون خبير » أي بنياتكم وضماثكم .

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ عَهْدُ الْإِنْسَانِ لَا تُمْرُكَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ يَأْتِيَنَا
وَيَأْتِيَنِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ

وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : لما نزل قوله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » قالت اليهود : يا محمد ، افتقر ربك فسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » الآية ؛ رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم . وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أنه حدث عن ابن عباس ، قال : دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس فوجد من يهود ناساً كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأخبارهم ؛ ومعه خبر يقال له أشيع ، فقال له أبو بكر : يحك يا فنحاص اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل . فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، ما ننصرع إليه كما يتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر رضي الله عنه فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله ؛ فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين . فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك ، فقال رسول الله ﷺ « ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر ؟ » فقال : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك ، غضبت الله مما قال ، فضربت وجهه ؛ فجمد فنحاص ذلك ، وقال : ما قلت ذلك ؛ فأنزل الله فيها قال فنحاص « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » الآية ؛ رواه ابن أبي حاتم . وقوله « سنكتب ما قالوا » تهديد ووعد ، ولهذا قرنه تعالى بقوله : « وقتلهم الأنبياء بغير حق » أي هذا قولهم في الله ، وهذه معاملتهم رسل الله وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء ؛ ولهذا قال تعالى : « ونقول ذوقوا عذاب الحريق » ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » أي يقال لهم ذلك تقريراً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً ؛ وقوله تعالى : « الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا تؤمن لرسول حتى يأتيانا بقربان تأكله النار » يقول تعالى تكذيباً لهؤلاء الذين زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم ، أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته ، فقبلت منه ، أن تنزل نار من السماء تأكلها ؛ قاله ابن عباس والحسن وغيرهما . قال الله عز وجل : « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات » أي بالحجج والبراهين ، « وبالذي قلتم » أي وبنار تأكل القرايين المنقبة ، « فلم قتلتموهم » أي فلم قابلتهموهم بالكذب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم « إن كنتم صادقين » أنكم تتبعون الحق وتتقادون للرسول - ثم قال تعالى مسلياً لنبيه محمد ﷺ « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا

بالبينات والزبر والكتاب المنير أي لا يوهنك تكذيب هؤلاء لك ، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كذبوا مع ما جاءوا به من البينات وهي الحجج والبراهين القاطعة ، ﴿والزبر﴾ وهي الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين ، ﴿والكتاب المنير﴾ أي الواضح الجلي .

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ

عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴿تَسْبُحُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ

وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكُتُبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا

وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

يغير تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت ، كقوله تعالى : ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ فهو تعالى وحده الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون ، وكذلك الملائكة وحمة العرش ، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء ، فيكون آخراً كما كان أولاً ، وهذه الآية تعزية لجميع الناس ، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت ، فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها في صلب آدم وانتهت البرية ، أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلاً وحقيقاً ، كثيرها وقليلها ، كبيرها وصغيرها ، فلا يظلم أحداً مثقال ذرة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد العزيز الأريسي ، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي عن جعفر بن محمد علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : لما توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية ، جاءهم أت يسمعون حسه ولا يرون شخصه ، فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴿إن في الله عزاء من كل مصيبة﴾ ، وخلقا من كل هالك ، ودركاً من كل فائت ، فبالله فتقوا ، وإياه فارجوا ؛ فإن المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قال جعفر بن محمد : فأخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال : أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام . وقوله : ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ أي من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة ، فقد فاز كل الفوز . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، أقرءوا إن شئتم» ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ ، هذا حديث ثابت في الصحيحين ، من غير هذا الوجه بدون الزيادة ، وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن عمرو هذا ورواه ابن مردويه من وجه آخر ، فقال : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيى ، أنبأنا حيد بن مسعدة ، أنبأنا عمرو بن علي عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله ﷺ «الموضع أحدم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» قال : ثم تلا هذه الآية ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ وتقدم عند قوله تعالى : ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه» وقد رواه الإمام أحمد في مسنده عن وكيع به . وقوله تعالى : ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ تصغير لشأن الدنيا ، وتحقير لأمرها ، وأنها دينية فانية ، قليلة زائلة ، كما قال تعالى : ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ وقال ﴿وما أوتيتن من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ ، وما عند الله خير وأبقى وفي الحديث «والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم ، فليظفر بـم ترجع إليه» وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ قال : هي متاع متروكة أوشكت ، والله الذي لا إله إلا هو ، أن تضمحل عن أهلها ، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله ، وقوله تعالى : ﴿تلبثون في أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ كقوله تعالى : ﴿وتلبثونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾ إلى آخر الآيتين . أي لا بد أن يتلذذ المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله ، ويتلذذ المؤمن على قدر دينه ، فإن كان في دينه صلاية زيد في البلاء «ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً» يقول تعالى للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر ، مسلماً لهم عما ينالهم من الأذى من أهل

الكتاب والمشركون ، وأمرهم بالصفح والصبر والعفو حتى يفرج الله ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره ، قال : كان النبي ﷺ وأصحابه يعفو عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾ قال : وكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم ، هكذا ذكره مختصراً . وقد ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية مطولاً ، فقال : حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب عن الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير عن أسامة بن زيد ، حدثه أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فذكية ، وأردف أسامة ابن زيد وراءه ، يعود سعد بن عباد بن بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر ، حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول ، وذلك قبل أن يسلم ابن أبي ؛ وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركون عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة ، فمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال : لا تغبروا علينا ، فسلم رسول الله ﷺ ، ثم وقف ، فنزل ، ودعاهم إلى الله عز وجل وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبي : أيها المرء ، إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا ، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : بل يا رسول الله ، فاعشنا به في مجالسنا ، فلما نحب ذلك ، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثارون ، فلم يزل النبي ﷺ يخفصهم حتى سكتوا ، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عباد ، فقال له النبي ﷺ « يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب » يريد عبد الله بن أبي ، قال : كذا وكذا ؛ فقال سعد : يا رسول الله ، أعف عنه واصفح ، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاءك الله بالحق الذي نزل عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتجوه فيعصبوه بالعصاة ، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله ، شق بذلك ، فذلك الذي فعل به ما رأيت ، فعفا عنه رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ ، وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى . قال الله تعالى : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾ الآية - وقال تعالى : ﴿ وَذَكَرَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ، حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ الآية ؛ وكان النبي ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله له فيهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا ، فقتل الله به صناديد كفار قريش قال عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان : هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام ، فبايعوا وأسلموا - فكل من قام بحق أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر فلا بد أن يؤذى فما له دواء إلا الصبر في الله ، والاستعانة بالله والرجوع إلى الله .

وَإِنْ أَخَذَ اللَّهُ بِشَيْءٍ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتَنِيْنُنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرُوا بِهِ مِمَّا مَنَّا قَلِيلًا فَيُشْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، وأن ينهوا بذكره في الناس ، فيكونوا على أهبة من أمره ، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والحظ الدنيوي السخيف ، فبشت الصفقة صفقتهم ، وبشت البيعة بيعتهم ، وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم ؛ فعل العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العزم النافع ، الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئاً ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ ، أنه قال « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » وقوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ؛ يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا ؛ كما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ « من ادعى دعوة كاذبة ليتكبر بها ، لم يزد الله إلا قلة » ، وفي الصحيحين أيضاً « التشيع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » . وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج عن ابن جريج ، أخبرني ابن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان قال : اذهب يا رافع لبوابه إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل

معذباً لتعذبين أجمعين ؛ فقال ابن عباس : ما لكم هذه ، إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُشِّمَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يمحذوا بما لم يفعلوا ﴿ الآية . وقال ابن عباس : سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموا إياه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألهم عنه ، وهكذا رواه البخاري في التفسير ، ومسلم والترمذي والنسائي في تفسيريهما ، وابن أبي حاتم ، وابن خزيمة ، والحاكم في مستدركه ، وابن مردويه ، كلهم من حديث عبد الملك بن جريج بنحوه . ورواه البخاري أيضاً من حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة ، عن علقمة بن وقاص ، أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس ، فذكره - وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أنبأنا محمد بن جعفر ، حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري : أن رجلاً من المنافقين في عهد رسول الله ﷺ ، كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلافاً لرسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتدروا إليه وحلفوا ، وأحبوا أن يمحذوا بما لم يفعلوا ، فنزلت ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يمحذوا بما لم يفعلوا ﴾ الآية ؛ وكذا رواه مسلم من حديث ابن أبي مريم بنحوه . وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ، قال : قال أبو سعيد ورافع بن خديج وزيد بن ثابت : كنا عند مروان فقال : يا أبا سعيد أرايت قوله تعالى : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يمحذوا بما لم يفعلوا ﴾ ، ونحن نفرح بما أتينا ونحب أن نحمد بما لم نفعل ؟ فقال أبو سعيد : إن هذا ليس من ذاك ، إنما ذاك أن ناساً من المنافقين يتخلفون إذا بعث رسول الله ﷺ بعثاً ، فإن كان فيهم نكبة فرحوا بتخلفهم ، وإن كان لهم نصر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوهم ويمجدوهم على سرورهم بالنصر والفتح ، فقال مروان : أين هذا من هذا ؟ فقال أبو سعيد : وهذا يعلم هذا ؟ فقال مروان : أكنذك يا زيد ؟ قال : نعم صدق أبو سعيد ؛ ثم قال أبو سعيد : وهذا يعلم ذاك - يعني رافع بن خديج ، ولكنه يخشى إن أخبرك أن تنزع قلائصه في الصدقة ، فلما خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري : ألا تحمديني على ما شهدت لك ، فقال له أبو سعيد : شهدت الحق ؛ قال زيد : أولاً تحمديني على ما شهدت الحق ؟ ثم رواه من حديث مالك عن زيد بن أسلم ، عن رافع بن خديج : أنه كان هو وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة ، فقال مروان : يا رافع في أي شيء نزلت هذه الآية ؟ فذكره كما تقدم عن أبي سعيد رضي الله عنهم ، وكان مروان يبعث بعد ذلك يسأل ابن عباس كما تقدم ؛ فقال له ما ذكرناه ، ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء ، لأن الآية عامة في جميع ما ذكر ، والله أعلم . وقد روى ابن مردويه أيضاً من حديث محمد بن عتيق وموسى بن عقبة عن الزهري ، عن محمد بن ثابت الأنصاري ، أن ثابت بن قيس الأنصاري قال : يا رسول الله ، والله لقد خشيت أن أكون هلكاً ، قال « لم ؟ » قال : نهى الله المرء أن يحب أن يمحذوا بما لم يفعل وأجديني أحب الحمد ، ونهى الله عن الخيلاء وأجديني أحب الجمال ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهير الصوت ، فقال رسول الله ﷺ وأما ترضى أن تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة ؟ فقال : وبلى يا رسول الله ، فعاش حميداً وقتل شهيداً يوم مسيلمة الكذاب - وقوله تعالى : ﴿ فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾ يقرأ بالتاء على مخاطبة المفرد ، وبالياء على الإخبار عنهم ، أي لا تحسب أنهم ناجون من العذاب ، بل لا بد لهم منه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ والله ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء قدير ﴾ أي هو مالك كل شيء ، والقادر على كل شيء ، فلا يعجزه شيء ؛ فهابوه ولا تخالفوه ، واحذروا غضبه ونقمته ، فإنه العظيم الذي لا أعظم منه ، والقدير الذي لا أقدر منه .

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ

لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ قِيَمًا عَذَابُ النَّارِ ﴿١١١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَنْبَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتُنَا مَوْعِدَتُنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾

قال الطبراني : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدثنا يحيى الحماني ، حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أنت قريش اليهود ، فقالوا : بم جاءكم موسى ؟ فقالوا : عصاه ويده بيضاء للناظرين ، وأتوا النصراني فقالوا : كيف كان عيسى ؟ قالوا : كان يبرئ الأكمة والأبرص ، ويحيي الموتى ؛ فأتوا النبي ﷺ فقالوا : ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً ، فدعاه ، فنزلت هذه الآية ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فليفتكروا فيها . وهذا مشكل ، فإن هذه الآية مدنية ، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهباً كان بحكمة ، والله اعلم . ومعنى الآية أن الله تعالى يقول : ﴿أَنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي هذه في ارتفاعها واتساعها ، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها . وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب وسيارات ، وثوابت وبخار ، وجبال وقفار ، وأشجار ونبات ، وزروع وثمار ، وحيوان ومعادن ، ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص ، ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي تعاقبها وتعارضها الطول والقصر ؛ فتارة يطول هذا ويقصر هذا ؛ ثم يعتدلان ، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيراً ، ويقصر الذي كان طويلاً ، وكل ذلك تقدير العزيز العليم ، ولهذا قال تعالى : ﴿لَا يَاتُ لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي العقول الناعمة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها . وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون ، الذين قال الله فيهم ﴿وَكُلَّيْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ثم وصف تعالى أولي الأبواب ، فقال ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ، كما ثبت في الصحيحين عن عمران بن حصين : أن رسول الله ﷺ قال «صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنبك» أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمايرهم وألستهم ، ﴿ويفتكرون في خلق السموات والأرض﴾ أي يفهمون ما فيها من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته . وقال الشيخ أبو سليمان الداراني : إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب النوكل والاعتبار . وعن الحسن البصري أنه قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وقال الفضيل قال الحسن : الفكرة مرآة تريك حسانتك وسيئاتك . وقال سفيان بن عيينة : الفكر نور يدخل قلبك ، وربما تمثل بهذا البيت .

إذا المرء كانت له فكرة ففني كل شيء له عبرة

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : طوبى لمن كان قلبه تذكراً ، وصمته تفكراً ، ونظره عبراً . قال لقمان الحكيم : إن طول الوحدة أهم للفكرة ، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة . وقال وهب بن منبه : ما طالت الوحدة أهم للفكرة ، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة . وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم ، ولا فهم امرؤ قط إلا علم ، ولا علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : الكلام بذكر الله عز وجل حسن ، والفكرة في نعم الله أفضل للعبادة . وقال مغيث الأسود : زوروا القبور كل يوم تفكركم ، وشاهدوا الموقف بقلوبكم ، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار ، واشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامها وأطباقها . وكان يكيي عند ذلك حتى يرفع صريعاً من بين أصحابه قد ذهب عقله . وقال عبد الله بن المبارك : مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة ، فناده فقال : يا راهب ، إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر : كنز الرجال ، وكنز الأموال . وعن ابن عمر : إنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخبرة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين ، فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ وعن ابن عباس أنه قال : ركعتان مقتصدتان في تفكر ، خير من قيام ليلة والقلب ساه . وقال الحسن البصري : يا ابن آدم ، كل في ثلث بطنك ، واشرب في ثلثه ، ودع ثلثه الآخر تنتفث للفكرة . وقال بعض الحكماء : من نظر إلى الدنيا بغير العبرة ، انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة . وقال بشر بن الحارث الحافي : لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه . وقال الحسن بن عامر بن عبد قيس ، قال : سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون : إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر . وعن عيسى عليه السلام أنه قال : يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت ، وكن في الدنيا ضعيفاً ، واتخذ المساجد بيتاً ، وعلم عينيك البكاء ، وجسدك الصبر ، وقلبك الفكر ، ولا تهتم برزق غد . وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، أنه بكى يوماً بين أصحابه ، فسئل عن ذلك ، فقال : فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها ، فاعتبرت منها بها ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تذكرها مرارتها ، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن اذكر . وقال ابن أبي الدنيا : انشدني الحسين بن عبد الرحمن :

نزهة المؤمن الفكر	لذة المؤمن المعبر
نحمد الله وحده	نحن كل على خطر
رب لاه وعمره	قد تقضى وما شعر
رب عيش قد كان فو	ق المني مونق الزهر
في خريز من العيو	ن وظل من الشجر
وسرور من النبا	ت وطيب من الثمر
غيرته وأهله	سرعة الدهر بالغير
نحمد الله وحده	إن في ذا لمعتبر
إن في ذا لعبرة	للبيب إن اعتبر

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته ، فقال ﴿وَكَايَن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴿ومدح عباده المؤمنين الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ قائلين ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ أي ما خلقت هذا الخلق عبثاً ، بل بالحق لتجزى الذين أساءوا بما عملوا ، وتجزى الذين أحسنوا بالحسن . ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل ، فقالوا ﴿سبحانك﴾ أي عن أن تخلق شيئاً باطلاً ﴿فمنا عذاب النار﴾ أي يا من خلق الخلق بالحق والعدل ؛ يا من هو منزّه عن النقائص والعيب والعيث . فمنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقبضنا لأعمال ترضى بها عنا . ووقفنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم ، وتنجينا به من عذابك الأليم . ثم قالوا ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ أي أمته وأظهرت خزيه لأهل الجمع ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ أي يوم القيامة لا مجر لهم منك . ولا يحمد لهم عما أردت بهم ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾ أي داعياً يدعو إلى الإيمان ، وهو الرسول ﷺ ﴿أن آمنوا بربكم فآمنوا﴾ أي يقول آمنوا بربكم فآمنوا ، أي فاستجبنا له واتبعناه ، أي بإيماننا واتباعنا نيك ، ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ أي استرها ، ﴿وكفر عن سيئاتنا﴾ فيما بيننا وبينك ، ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ أي ألحقنا بال صالحين ، ﴿ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك﴾ قيل : معناه على الإيمان برسلك ، وقيل : معناه على السنة رسلك . وهذا أظهر - وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد ، عن أبي عقيل ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ «عسقلان أحد العروسين يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفاً لا حساب عليهم ، وبيعث منها خمسين ألفاً شهداء وفوداً إلى الله ، وبها صفوف الشهداء رؤوسهم مقطعة في أيديهم تنج أوداجهم دماً ، يقولون ﴿ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد﴾ فيقول الله : صدق عبيدي اغسلوهم بنهر البیضة . فيخرجون منه نقاء بيضاً ، فيسرحون في الجنة حيث شاءوا وهذا الحديث يعد من غرائب المسند ، ومنهم من يجعله موضوعاً ، والله أعلم . ﴿ولا تخزنا يوم القيامة﴾ أي على رؤوس الخلائق ، ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ أي لا بد من الميعاد الذي أخبرت عنه رسلك وهو القيام يوم القيامة بين يديك ؛ وقد قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الحافظ أبو شريح ، حدثنا المعتمر ، حدثنا الفضل بن عيسى ، حدثنا محمد بن المنكدر أن جابر بن عبد الله حدثه أن رسول الله ﷺ قال «العار والتخزية تبلغ من ابن آدم في القيامة في المقام بين يدي الله عز وجل ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار» حديث غريب . وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتنهجده ، فقال البخاري رحمه الله : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن كريب ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : بت عند خالتي ميمونة ، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء ، فقال ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لِّأولي الأبصار﴾ الآيات ، ثم قام فتوضأ واستن ، ثم صلى إحدى عشرة ركعة ، ثم أذن بلال فصل ركعتين ، ثم خرج فصل بالناس الصبح . وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن إسحاق الصنعاني ، عن ابن أبي مريم به . ثم رواه البخاري من طرق عن مالك ، عن حمزة بن سليمان ، عن كريب أن ابن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته ، قال : فاضطجعت في عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها ، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف ذا الليل أو قبله أو بعده بقليل ، استيقظ رسول الله ﷺ من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها ، فأحسن وضوءه ؛ ثم قام يصلي . قال ابن عباس رضي الله عنهما :

فصنعت مثل ما صنع ، ثم ذهبت فقمعت إلى جنبه ، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي ، وأخذ بأذني اليمنى ففتلها ، فصل ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن ، فقام فصلي ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصل الصبح . وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن مالك به . ورواه مسلم أيضاً وأبو داود من وجوه أخر عن مخمرة بن سليمان به .

[طريقة أخرى] لهذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن علي ، حدثنا أبو يحيى عن أبي ميسرة ، أنبأنا خلاد بن يحيى ، أنبأنا يونس عن أبي إسحاق ، عن المنهال بن عمرو ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أمرني العباس أن آيت بآل رسول الله ﷺ وأحفظ صلاته . قال : فصل رسول الله ﷺ بالناس صلاة العشاء الأخيرة حتى إذا لم يبق في المسجد أحد غيري ، قام فمر بي ، فقال : من هذا ؟ عبد الله ؟ قلت : نعم ، قال : فمه ؟ قلت : أمرني العباس أن آيت بكم الليلة . قال : «فالحق الحق» فلما دخل قال : افترض عبد الله ؟ قال : فأتى بوسادة من مسح . قال : فنام رسول الله ﷺ عليها حتى سمعت غطيطة ، ثم استوى على فراشه قاعداً ، قال : فرفع رأسه إلى السماء فقال «سبحان الملك القدوس» ثلاث مرات ، ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران حتى ختمها . وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه حديثاً في ذلك أيضاً .

[طريق أخرى] رواها ابن مردويه من حديث عاصم بن بهدلة عن بعض أصحابه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة بعدما مضى ليل ، فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب» إلى آخر السورة ثم قال «اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن شمالي نوراً ، وعن يدي نوراً ، وعن خلفي نوراً ، وعن فوقي نوراً ، وعن تحتي نوراً وأعظم لي نوراً يوم القيامة» وهذا الدعاء ثابت في بعض طرق الصحيح من رواية كريب عن ابن عباس رضي الله عنه ، ثم روى ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أتت قريش اليهود ، فقالوا : بم جاءكم موسى من الآيات ؟ قالوا : عصاه ويده بيضاء للناظرين . وأتوا النصراني : فقالوا : كيف كان عيسى فيكم ؟ فقالوا : كان يريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ؛ فأتوا النبي ﷺ فقالوا : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ، فدعا ربه عز وجل ، فنزلت «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب» قال : فليفتكروا فيها ؛ لفظ ابن مردويه . وقد تقدم هذا الحديث من رواية الطبراني في أول الآية ، وهذا يقتضي أن تكون هذه الآيات مكية ، والمشهور أنها مدنية ، ودليله الحديث الآخر . قال ابن مردويه : حدثنا علي بن إسماعيل ، حدثنا أحمد بن علي الخرائي ، حدثنا شجاع بن أشرس ، حدثنا حشر بن نباتة الواسطي ، حدثنا أبو مكرم عن الكلبي وهو ابن جناب ، عن عطاء قال : انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها ، فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب ، فقالت : يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال : قول الشاعر : زرغباً تردد حباً . فقال ابن عمر : ذرينا أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله ﷺ ، فبكت وقالت : كل أمره كان عجباً ، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ، ثم قال «ذريني أتعبد لربي عز وجل» قالت : فقلت والله إنني لأحب قربك ، وإنني أحب أن تعبد ربك ، فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلي فبكي حتى بل لحيته ، ثم سجد فبكي حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكي حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح . قالت : فقال : يا رسول الله ، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : «ويحك يا بلال ، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي هذه الليلة «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب» ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» وقد رواه عبد بن حميد في تفسيره عن جعفر بن عوف الكلبي عن أبي حباب عطاء . قال : دخلت أنا وعبيد بن عمر وعبيد بن عمير على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي في خدرها ، فسلمنا عليها ، فقالت : من هؤلاء ؟ قال : فقلنا : هذا عبد الله بن عمر وعبيد بن عمير . قالت : يا عبيد بن عمير . ما يمنعك من زيارتنا ، قال : ما قال الأول : زرغباً تردد حباً . قالت إنا لنحب زيارتك وغشيانك . قال عبد الله بن عمر : دعينا من بظالتكما هذه ، أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله ﷺ . قال : فبكت ثم قالت : كل أمره كان عجباً ، أتاني في ليلتي حتى دخل معي في فراشي ، حتى لصق جلده بجلدي ؛ ثم قال : «يا عائشة ائذني لي أتعبد لربي» . قالت : إني لأحب قربك وأحب هواك . قالت : فقام إلى قربة في البيت فما أكثر صب الماء ، ثم قام فقرأ القرآن ، ثم بكى حتى رأيت أن دموعه قد بلغت حقيقه ؛ قالت : ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم بكى حتى رأيت دموعه بلغت حجره ، قالت : ثم انكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده ، قالت : ثم

بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض فدخل عليه بلال فأذنه بصلاة الفجر ، ثم قال : الصلاة يا رسول الله ، فلما رآه بلال يبكي قال : يا رسول الله ، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ ومالي لا أبكي وقد نزل عليّ الليلة ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إلى قوله ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ - ثم قال - «ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر بها» وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عمران بن موسى ، عن عثمان بن أبي شيبة ، عن يحيى بن زكريا ، عن إبراهيم بن سويد النخعي ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، قال : دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فذكر نحوه . وهكذا رواه عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار عن شجاع بن أشرس به . ثم قال : حدثني الحسن بن عبد العزيز : سمعت سنيداً يذكر عن سفيان بن عيينة هو الثوري رفعه ، قال «من قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها ويله يعد بأصابعه عشراً - قال الحسن بن عبد العزيز : فأخبرني عبيد بن السائب قال : قيل للأوزاعي : ما غاية التفكير فيهن ؟ قال : يقرؤهن وهو يعقلهن . قال ابن أبي الدنيا : وحدثني قاسم بن هاشم ، حدثنا علي بن عياش ، حدثنا عبد الرحمن بن سليمان ، قال : سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن وما ينجي من هذا الويل ؟ فأطرق هنيهة ثم قال : يقرؤهن وهو يعقلهن .

[حديث آخر] فيه غرابة . قال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن غير ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم البستي (ح) قال : وحدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا أحمد بن عمرو قال : أنبأنا هشام بن عمار ، أنبأنا سليمان بن موسى الزهري ، أنبأنا مظاهر بن أسلم المخزومي ، أنبأنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة ، قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة . مظاهر بن أسلم ضعيف .

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مَّن ذَكَرَ أَوْ أَنُفِيَ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ فَأَلَّيْنَ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا
مِنْ دِينِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَذْخَلَنَّاهُمْ جَنَّتِ بَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١١٥﴾

يقول تعالى : ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ أي فاجابهم ربهم ، كما قال الشاعر :
وداع دعا : يا من يجيب إلى النداء فلم يستجبه عند ذاك مجيب
قال سعيد بن منصور : حدثنا سفيان بن عمرو بن دينار ، عن سلمة رجل من آل أم سلمة ، قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله لا نسلم ذكر النساء في الهجرة بشيء . فأنزل الله تعالى : ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ إلى آخر الآية . وقالت الأنصار : هي أول طعنة قدمت علينا ، وقد رواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة . ثم قال : صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه ؛ وقد روى ابن أبي نجيع عن مجاهد عن أم سلمة قالت : آخر آية نزلت هذه الآية ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ إلى آخرها ، رواه ابن مردويه ، ومعنى الآية أن المؤمنين ذوي الألباب لما سألوها ما سألوها مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب ، كما قال تعالى : ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴿وقوله تعالى : ﴿أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ هذا تفسير للإجابة ، أي قال لهم خبراً أنه لا يضيع عمل عامل منكم لديه ، بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى ، وقوله ﴿بعضكم من بعض﴾ أي جميعكم في ثوابي سواء ، ﴿فالذين هاجروا﴾ أي تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والإخوان والخلان والجيران ، ﴿وأخرجوا من ديارهم﴾ أي ضايقتهم المشركون بالأذى حتى أُلجأواهم إلى الخروج من بين أظهرهم ؛ ولهذا قال ﴿وأوذوا في سبيلي﴾ أي إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده ، كما قال تعالى : ﴿يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ وقال تعالى : ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ وقوله تعالى : ﴿وقاتلوا وقتلوا﴾ وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترايه ، وقد ثبت في الصحيحين أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أرايت إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، أيكفر الله عني خطايائي ؟ قال «نعم» ، إلا الذي قاله لي جبريل أنفاه وهذا قال تعالى : ﴿لا تكفرن عنهم سيئاتهم

ولادخلهم جنت تجري من تحتها الأنهار أي تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وما غير آسن ، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقوله ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم ، لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلًا كثيرًا ، كما قال الشاعر :
 إن يعذب يكن غراماً وإن يعد
 ط جزيلاً فإنه لا يبالي

وقوله تعالى : ﴿والله عنده حسن الثواب﴾ أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحاً . قال ابن أبي حاتم : ذكر عن دحيم بن إبراهيم قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، أخبرني جرير بن عثمان أن شداد بن أوس كان يقول : أيها الناس ، لا تنهوا الله في قضائه ، فإنه لا يبغي على مؤمن ، فإذا أنزل بأحدكم شيئاً مما يحب ، فليحمد الله ، وإذا أنزل به شيئاً مما يكره ، فليصبر وليحسب ، فإن الله عنده حسن الثواب .

لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٦٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُقْسَلُ الْمِهَادُ ﴿١٦٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا

رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَّلْنَا مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٦٨﴾

بقول تعالى : لا تنظر إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور ، فعما قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتنين بأعمالهم السيئة ، فإنما تم لهم فيها هم فيه استدراجاً ، وجميع ما هم فيه ﴿متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يفرك تقلبهم في البلاد﴾ ، وقال تعالى : ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ ، وقال تعالى : ﴿ثمعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾ وقال تعالى : ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويداً﴾ أي قليلاً ، وقال تعالى : ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لآقيه كمن متناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ وهكذا لما ذكر حال الكفار في الدنيا وذكر أن مآلهم إلى النار ، قال بعده ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلنا من عند الله وما عند الله خير للأبرار﴾ وقال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن نصر ، حدثنا أبو طاهر سهل بن عبد الله ، أنبأنا هشام بن عمار ، أنبأنا سعيد ، أنبأنا يحيى ، أنبأنا عبيد الله بن الوليد الرصافي عن محارب بن دثار ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي ﷺ قال : ﴿إنما سموا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالديك عليك حقاً كذا لولدك عليك حق ، كذا رواه ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن الوليد الرصافي ، عن محارب بن دثار ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : ﴿إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالديك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حق ، وهذا أشبه ، والله أعلم . ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هشام بن عمار ، عن رجل عن الحسن ، قال : الأبرار الذين لا يؤذون الذر . وقال ابن أبي حاتم أيضاً : حدثنا أحمد بن سنان . حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن خيشمة عن الأسود ، قال : قال عبد الله يعني ابن مسعود : ما من نفس برة ولا فاجرة إلا الموت خير لها ، لئن كان برا لقد قال الله تعالى ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ، عن الأعمش به . وقرأ ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما غلبي لهم خير لأنفسهم إنما غلبي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾ وقال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا إسحاق ، حدثنا ابن أبي جعفر عن نوح بن فضالة ، عن لقمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول : ما من مؤمن إلا والموت خير له ، وما من كافر إلا والموت خير له ، ومن لم يصدقني فإن الله يقول ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ ويقول ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما غلبي لهم خير لأنفسهم إنما غلبي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾ .

وَأَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا

أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ لَتَيْكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ

سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٦٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٧٠﴾

يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان ، ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة ، وأنهم خاشعون لله أي مطيعون له ، خاضعون متذللون بين يديه ، لا يشترّون بآيات الله ثمنًا قليلًا ، أي لا يكتُمون ما بأيديهم من البشارة بمحمد ﷺ وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته ، وهؤلاء لهم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا يهودا أو نصارى . وقد قال تعالى في سورة القصص ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ الآية ؛ وقد قال تعالى : ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ الآية . وقد قال تعالى : ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ ، وقال تعالى : ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ ، وقال تعالى : ﴿قل آمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ ويخرون للأذقان ليكون ويزيدهم خشوعا وهذه الصفات توجد في اليهود ، ولكن قليلًا كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أجباز اليهود ، ولم يبلغوا عشرة أنفس ، وأما النصارى فكثير منهم يبتدون وينقادون للحق ، كما قال تعالى : ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود﴾ الذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فأنا لله الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ الآية ؛ وهكذا قال ههنا ﴿أولئك لهم أجرهم عند ربهم﴾ الآية ؛ وقد ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، لما قرأ سورة كهيعص بحضرة النجاشي ملك الحبشة وعنده البطارقة والقساوسة ، بكى وبكوا معه حتى أخضبوا لحاهم . وثبت في الصحيحين أن النجاشي لما مات نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه وقال ﴿إن أحبا لكم بالحبشة قد مات ، فصلوا عليه﴾ فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه . وروى ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ ﴿استغفروا لأخيك﴾ فقال بعض الناس : يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بآرض الحبشة ، فنزلت ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله﴾ الآية ؛ ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن الحسن ، عن النبي ﷺ ؛ ثم رواه ابن مردويه من طرق عن حميد ، عن أنس بن مالك ، نحو ما تقدم ورواه أيضاً ابن جرير من حديث أبي بكر الهذلي عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن جابر ، قال : قال لنا رسول الله ﷺ حين مات النجاشي ﴿إن أحاكم أصحمة قد مات﴾ ، فخرج رسول الله ﷺ فصلي كما صلى على الجنائز فكبّر أربعاً ، فقال المنافقون : يصلي على علج مات بآرض الحبشة ؛ فأنزل الله ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ الآية . وقال أبو داود : حدثنا محمد بن عمرو الرازي ، حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . وقد روى الحافظ أبو عبد الله الحاكم في مستدركه : أنبأنا أبو العباس الصياري بمرو ، حدثنا عبد الله بن علي الغزال ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، قال : نزل النجاشي عدو من أرضهم ، فجاءه المهاجرون فقالوا : إنا نحب أن نخرج إليهم حتى نقاتل معك ونرى جرأتنا ونجزيك بما صنعت بنا ، فقال : لداء بنصر الله عز وجل خير من دواء بنصرة الناس ؛ قال : وفيه نزلت ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله﴾ الآية . ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد ﴿وإن من أهل الكتاب﴾ يعني مسلمة أهل الكتاب . وقال عباد بن منصور : سألت الحسن البصري عن قول الله ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ الآية ؛ قال : هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد ﷺ فاتبعوه ، وعرفوا الإسلام فاعطاهم الله تعالى أجر اثنين للذين كانوا عليه من الإيمان قبل محمد ﷺ واتباعهم محمداً ﷺ ؛ رواه ابن أبي حاتم . وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين﴾ فذكر منهم رجلاً من أهل الكتاب آمن بنبيه وأمن بي ؛ وقوله تعالى : ﴿لا يشترّون بآيات الله ثمنًا قليلًا﴾ أي لا يكتُمون ما بأيديهم من العلم كما فعله الطائفة المردولة منهم ، بل يبذلون ذلك مجاناً ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾ ، قال مجاهد : سريع الحساب يعني سريع الإحصاء ، رواه ابن أبي حاتم وغيره ؛ وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ قال الحسن البصري : أمرنا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام ، فلا يدعوه لسراء ولا لضرأ ولا لشدة ولا لرخاء ، حتى يموتوا مسلمين ، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتُمون دينهم ، وكذلك قال غير واحد من علماء السلف ؛ وأما المراقبة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات ، وقيل : انتظار الصلاة بعد الصلاة ، قاله ابن عباس وسهل بن حنيف ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم ؛

وروى ابن أبي حاتم ههنا الحديث الذي رواه مسلم والنسائي من حديث مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن يعقوب مولى الخرقه ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ، إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط» . وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا موسى بن إسحاق ، حدثنا أبو جحيفة علي بن يزيد الكوفي ، أنبأنا ابن أبي كريمة عن محمد بن يزيد ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : أقبل عليّ أبو هريرة يوماً ، فقال : أتدري يا ابن أخي فيم نزلت هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا» قلت : لا . قال : أما إنه لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يربطون فيه ، ولكنها نزلت في قوم يعمرن المساجد ويصلون الصلاة في مواقيتها ، ثم يذكرون الله بها ، فعليهم أنزل «اصبروا» أي على الصلوات الخمس ، «وصابروا» أنفسكم وهواكم ، «ورابطوا» في مساجدكم ، «واتقوا الله» فيما عليكم ، «لعلكم تفلحون» . وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن منصور عن مصعب بن ثابت ، عن داود بن صالح ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة بنحوه . وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب ، حدثني ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد المقبري ، عن جده ، عن شرحبيل ، عن علي رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ «ألا أدلكم على ما يكفر الذنوب والخطايا إسباغ الوضوء على المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط» ، وقال ابن جرير أيضاً : حدثني موسى بن سهل الرملي ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا محمد بن مهاجر ، حدثني يحيى بن زيد بن أبي أنيسة ، عن شرحبيل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب» ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال «إسباغ الوضوء في أماكنها ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط» ؛ وقال ابن مردويه . حدثنا محمد بن علي ، أنبأنا محمد بن عبد الله بن سلام البرنوثي ، أنبأنا محمد بن غالب الأنطاكي ، أنبأنا عثمان بن عبد الرحمن ، أنبأنا الوازع بن نافع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي أيوب ، قال : وقد علينا رسول الله ﷺ فقال «هل لكم إلى ما يمحو الله به الذنوب ويعظم به الأجر» ؟ قلنا : نعم يا رسول الله ، وما هو ؟ قال «إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة» . قال : وهو قول الله «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» فذلك هو الرباط في المساجد ؛ وهذا حديث غريب من هذا الوجه جدا . وقال عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير : حدثني داود بن صالح ، قال : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية «اصبروا وصابروا ورابطوا» ؟ قلت : لا . قال : إنه لم يكن يا ابن أخي في زمان رسول الله ﷺ غزو يربط فيه ، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة ؛ رواه ابن جرير ، وقد تقدم سياق ابن مردويه له ، وأنه من كلام أبي هريرة رضي الله عنه ، والله أعلم ؛ وقيل : المراد بالمرابطة ههنا مرابطة الغزو في نحو العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين ، وقد وردت الأخبار بالترغيب في ذلك وذكر كثرة الثواب فيه ، فروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال «رابط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» .

[حديث آخر] روى مسلم عن سلمان الفارسي ، عن رسول الله ﷺ أنه قال «رابط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» .

[حديث آخر] قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح ، أخبرني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الحيني أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر» وهكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هانئ الخولاني وقال الترمذي : حسن صحيح ؛ وأخرجه ابن حبان في صحيحه أيضاً . [حديث آخر] قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا حسن بن موسى وأبو سعيد وعبد الله بن يزيد ، كلهم عن عبد الله بن لهيعة ، حدثنا مشر بن عاهان ، سمعت عقبة بن عامر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل ميت يختم له عمله إلا المرابط في سبيل الله يجري عليه عمله حتى يبعث ويأمن الفتان» رواه الحارث بن محمد بن أبي الهامة في مسنده عن المقبري وهو عبد الله بن يزيد إلى قوله «حتى يبعث» دون ذكر «الفتان» وابن لهيعة إذا صرح بالتحديث فهو حسن ولا سيما مع ما تقدم من الشواهد .

[حديث آخر] قال ابن ماجه في سننه : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني الليث عن زهرة بن معبد عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى عليه عمله الصالح

الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن من الفتان ، وبعث الله يوم القيامة آمناً من الفزع الأكبر .
[طريق أخرى] قال الإمام أحمد : حدثنا موسى ، أنبأنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال «من مات مرابطاً وفي فتنة القبر ، وأمن من الفزع الأكبر ، وغدا عليه ريح يرزقه من الجنة ، وكتب له أجر الم رابط إلى يوم القيامة» .

[حديث آخر] قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن عمرو بن حلحلة الديلي ، عن إسحاق بن عبد الله عن أم الدرداء ترفع الحديث ، قالت «من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة» .

[حديث آخر] قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا كهس ، حدثنا مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، قال : قال عثمان وهو يخطب على منبره : إني محدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن يعني أن أحدكم به إلا الظن بكم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول «حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليها وبصام نهارها» وهكذا رواه أحمد عن روح ، عن كهس ، عن مصعب بن ثابت ، عن عثمان ؛ وقد رواه ابن ماجة عن هشام بن عمار ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن مصعب بن ثابت ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : خطب عثمان الناس فقال : أيها الناس إني سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لم يعني أن أحدكم به إلا الظن بكم وبصاحبكم ، فليخترتار لنفسه أو ليدع» سمعت رسول الله ﷺ يقول «من رابط ليلة في سبيل الله كانت كآلف ليلة قيامها وصيامها» .

[طريق أخرى] عن عثمان رضي الله عنه . قال الترمذي : حدثنا الحسن بن علي الخلال ، حدثنا هشام بن عبد الملك ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان ، قال : سمعت عثمان وهو على المنبر يقول : إني كتتم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عني ، ثم بدا لي أن أحدتكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له ، سمعت رسول الله ﷺ يقول «رابط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل» . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ؛ قال محمد يعني البخاري أبو صالح مولى عثمان اسمه بركان ، وذكر غير الترمذي أن اسمه الحارث ، والله أعلم . وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ، وعنده زيادة في آخره فقال يعني عثمان : فلي رابط امرؤ كيف شاء هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم أشهد .

[حديث آخر] قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، حدثنا محمد بن المنكدر ، قال : مر سلمان الفارسي . بشرحيل بن السمط ، وهو في مرابطة له وقد شق عليه وعلى أصحابه ، فقال : ألا أحدثك يا ابن السمط بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : بل ؛ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «رابط يوم في سبيل الله أفضل - أو قال خير - من صيام شهر وقيامه ، ومن مات فيه وفي فتنة القبر ، ونفى له عمله إلى يوم القيامة» تفرد به الترمذي من هذا الوجه ، وقال : هذا حديث حسن ، وفي بعض النسخ زيادة وليس إسناده بمتمصل ؛ وابن المنكدر لم يدرك سلمان . (قلت) الظاهر أن محمد بن المنكدر سمعه من شرحبيل بن السمط ، وقد رواه مسلم والنسائي من حديث مكحول وأبي عبيدة بن عقبة ، كلاهما عن شرحبيل بن السمط وله صحبة عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال «رابط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» وقد تقدم سياق مسلم بمفرده .

[حديث آخر] قال ابن ماجة : حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة ، حدثنا محمد بن يعلى السلمي ، حدثنا عمرو بن صبيح عن عبد الرحمن بن عمرو ، عن مكحول ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ «حرس ليلة وراء عورة المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أعظم أجراً من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ، ورابط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً» أراه قال - من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها ، فإن رده الله تعالى إلى أهله سالماً لم يكتب عليه سيئة ألف سنة ، وتكتب له الحسنات ، ويجري عليه أجر الرباط إلى يوم القيامة» هذا حديث غريب من هذا الوجه ، بل منكر . وعمر بن صبيح متهم .

[حديث آخر] قال ابن ماجة : حدثنا عيسى بن يونس الرملي ، حدثنا محمد بن شعيب بن شابور عن سعيد بن خالد بن أبي طويل ، سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول «حرس ليلة في سبيل الله خير من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة . السنة ثلاثمائة يوم ، اليوم كآلف سنة» وهذا حديث غريب أيضاً ، وسعيد بن خالد هذا ضعفه أبو زرعة وغير واحد من الأئمة ، وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به .

وقال الحاكم : روي عن أنس أحاديث موضوعة .

[حديث آخر] قال ابن ماجة : حدثنا محمد بن العزيز بن محمد عن صالح بن محمد بن زائدة ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عقبة بن عامر الجهني ، قال : قال رسول الله ﷺ «رحم الله حارس الحرم» فيه انقطاع بين عمر بن عبد العزيز وعقبة بن عامر ، فإنه لم يدركه والله أعلم .

[حديث آخر] قال أبو داود : حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية يعني ابن سلام ، حدثني السلولي أنه حدثه سهل بن الحنظلة أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين حتى كانت عشية ، فحضرت الصلاة مع رسول الله ﷺ ، فجاء رجل فارس فقال : يا رسول الله ، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشياهم ؛ فتبسم النبي ﷺ وقال «تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله» ثم قال «من يحرمنا الليلة» ؟ قال أنس بن أبي مرثد : أنا يا رسول الله ، قال «فاركب» فركب فرساً له ، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ «استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا تغز من قبلك الليلة» فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه ، فركع ركعتين فقال «هل أحسستم فارسكم ؟» فقال رجل : يا رسول الله ما أحسنناه فتوب بالصلاة ، فجعل النبي ﷺ وهو يصلي يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته قال «أبشروا فقد جاءكم فارسكم» فجعلنا ننظر في خلال الشجر في الشعب ، فإذا هو قد جاء حتى وقف على النبي ﷺ ، فقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرتني ، فلما أصبحنا طلعت الشعبين كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله ﷺ «هل نزلت الليلة ؟» قال : لا إلا مصلياً أو قاضي حاجة ، فقال له «أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها» . ورواه النسائي عن محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحراني عن أبي توبة وهو الربيع بن نافع به .

[حديث آخر] قال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا عبد الرحمن بن شريح ، سمعت محمد بن شمير الرعيني يقول : سمعت أبا عامر البجلي ، قال الإمام أحمد : وقال غيره زائداً أبا علي الحنفي يقول : سمعت أبا ريمانة يقول كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، فأتينا ذات ليلة إلى شرف ، فبتنا عليه ، فأصابنا برد شديد حتى رأيت من يحفر في الأرض يدخل فيها ويلقي عليه الحجفة يعني الترس ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ من الناس نادى «من يحرمنا هذه الليلة فأدعوه بدعاء يكون له فيه فضل» ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله قال «ادن» فدنا منه ، فقال «من أنت ؟» فتسمى له الأنصاري ، ففتح رسول الله ﷺ بالدعاء فأكثر منه . قال أبو ريمانة : فلما سمعت ما دعا به قلت : أنا رجل آخر ، فقال «ادن» ، فدنوت فقال «من أنت ؟» قال : فقلت : أبو ريمانة ، فدعا بدعاء دون ما دعا به للأنصاري ، ثم قال «حرمت النار على عين دمعت - أو بكت - من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله» وروى النسائي منه «حرمت النار» إلى آخره عن عصمة بن الفضل عن زيد بن الحباب به ، وعن الحارث بن مسكين عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح به ، وأنتم وقال في الروايتين عن أبي علي البجلي .

[حديث آخر] قال الترمذي ؛ حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، حدثنا بشر بن عمار ، وحدثنا شعيب بن زريق أبو شيبة عن عطاء الخراساني ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله» ثم قال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق ، قال وفي الباب عن عثمان وأبي ريمانة . (قلت) وقد تقدما ، والله الحمد والمنة .

[حديث آخر] - قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان ، حدثنا رشدين عن زياد ، عن سهيل بن معاذ ، عن أبيه معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ قال «من حرس من وراء المسلمين متطوعاً لا بأجرة سلطان ، لم ير النار بعينه الا تحلة القسم ، فإن الله يقول ﴿وإن منكم إلا واردة﴾» تفرد به أحمد رحمه الله .

[حديث آخر] - روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «تعمس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعمس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعت رأسه ، مغيرة قدماء إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقية كان في الساقية ، استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع» فهذا آخر ما تيسر إيراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام ، والله الحمد على جزيل الأنعام ، على تعاقب الأعوام والأيام . وقال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا مطرف بن عبد الله المدني ، حدثنا مالك بن زيد بن أسلم قال : كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر له جوعاً من الروم وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنه مها ينزل بعيد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله له بعدها فرجاً ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وإن الله تعالى يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ وهكذا روى الحفاظ بن

عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي سكينه ، قال : أمل علي عبد الله بن المبارك هذه الآيات بطرسوس ، وودعته للخروج ، وأنشدها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة ، وفي رواية سنة سبع وسبعين ومائة .

يا عسايد الحرميين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلمب
من كان يخضب خده بدموعه	فنجورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السابك والغبار الاطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال : فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحتي ، ثم قال : أنت ممن يكتب الحديث ؟ قال : قلت : نعم ، قال فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا وأمل على الفضيل بن عياض . حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله ، علمني عملاً أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله ؛ فقال «هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر ، وتصوم فلا تفطر ؟» فقال : يا رسول الله ، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبي ﷺ «فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل الله ، أو ما علمت أن الفرس المجاهد ليستن في طوله ، فيكتب له بذلك الحسنات» وقوله تعالى : ﴿واتقوا الله﴾ أي في جميع أموركم وأحوالكم ، كما قال النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن «اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالف الناس بخلق حسن» ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي في الدنيا والآخرة - وقال ابن جرير : حدثني يونس أنبأ ابن وهب ، أنبأ أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قول الله عز وجل ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ يقول : اتقوني فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غداً إذا لقيتوني . انتهى تفسير سورة آل عمران ، والله الحمد والمنة ، نسأله الموت على الكتاب والسنة آمين . . .

سُورَةُ النِّسَاءِ

قال العوفي عن ابن عباس : نزلت سورة النساء بالمدينة . وكذا روى ابن مردويه ، عن عبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت ، روي من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن أخيه عيسى ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت سورة النساء قال رسول الله ﷺ : «لا حبس» وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو البخاري عبد الله بن محمد بن شاكر ، حدثنا محمد بن بشر العبدي ، حدثنا مسعر بن كدام عن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال : إن في سورة النساء خمس آيات ما يسرنى أن لي بها الدنيا وما فيها ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ الآية ، ﴿إن تحببوا كباثر ما تنهون عنه﴾ الآية ؛ و﴿إن الله لا يفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ و﴿لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك﴾ الآية ؛ ثم قال : هذا إسناد صحيح إن كان عبد الرحمن سمع من أبيه فقد اختلف في ذلك ، وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن رجل عن ابن مسعود قال : خمس آيات من النساء لمن أحب إلي من الدنيا جميعاً ﴿إن تحببوا كباثر ما تنهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم﴾ وقوله : ﴿وإن تك حسنة يضاعفها﴾ وقوله : ﴿إن الله لا يفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وقوله : ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ رواه ابن جرير . ثم روي من طريق صالح المري عن قتادة عن ابن عباس قال : ثمان آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت ، أولهن ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم﴾ والثانية ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾ والثالثة ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ ثم ذكر قول ابن مسعود سواء يعني في الخمسة الباقية - وروى الحاكم من طريق أبي